

إغناسيو رامونيت
ترجمة: رشيد غويلب

في مواجهة المجهول
الوباء والنظام العالمي
تقييم مفصل للوضع العالمي في زمن كورونا

Index

في مواجهة المجهول - الوباء والنظام العالمي
تقييم مفصل للوضع العالمي في زمن كورونا

إغناسيو رامونيت



دار الرواد المزدهرة للطباعة والنشر والتوزيع 2021

العراق - بغداد - بارك السعدون - قرب جامع الخضيرى

mobil: +9647901675464

E-mail: elafroad@gmail.com

فى مواجهة المجهول - الوباء والنظام العالمى

تقييم مفصل للوضع العالمى فى زمن كورونا

إغناسيو رامونى

ترجمة: رشيد غويلب

تصميم الغلاف: شاكر عبد جابر

رقم الايداع فى دار الكتب والوثائق العراقية 128 لسنة 2021

الطبعة الأولى - العراق - بغداد 2021

© جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو إعادة تخزينه فى نطاق إستعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأى شكل من الأشكال دون إذن خطى من الناشرين.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage, without the prior permission in writing of the publishers.

في مواجهة المجهول - الوباء والنظام العالمي
تقييم مفصل للوضع العالمي في زمن كورونا

بقلم
إغناسيو رامونيت

ترجمة
رشيد غويلب

2021

نشرت سبع منابر إعلامية مقالة اغناسيو رامونيت هذه بشكل مشترك وهي: Nodal (الارجنتين)، Le Monde diplomatique en español (اسبانيا)، Le Monde diplomatique Edición Cono Sur El Diplo (سانتياغودي (الارجنتين)، Le Monde diplomatique Edición Chilena (تشيلي)، La Jornada (المكسيك)، Cubadebate (كوبا)، و Mémoire des luttes (فرنسا).

وكان موقع 21 amerika الألماني هو ثامن منبر ينشر الترجمة الألمانية، ولطول المقالة فقد نشرت بثلاثة أجزاء أيام 7، 9، 11 أيار على التوالي. وفيما يلي الترجمة العربية للنص الألماني وفق التقسيم المنشور في الموقع.

أهدى الكاتب مقالته الى لاعب كرة القدم الاسباني توني مارتينيز **Tony Martinez**. وتوجه الكاتب برسالة شكر الى مجموعة من زميلاته زملائه لتقدمهم ملاحظات على المخطوطة جاء فيها:

«خالص شكري للأصدقاء - برنارد كاسين، وليديا كاسترو، وكاميلو بيريز كاسل، وميغيل مريخيا، وفيران مونتيسا، وماريسا روس، وساندرا سارمينتو - الذين قرأوا النص مرة أخرى، في مثل هذا الوقت القصير وفي خضم هذا العزل والاضطراب العالمي، وقاموا بالتصحيح، والتغيير وتقديم سلسلة كاملة من الاقتراحات التي مكنتني من إثراء المخطوطة، وفي رأيي، تحسينها بشكل كبير. فشكرا جزيلا».

إغناسيو رامونيت Ignacio Ramonet

ولد في 5 أيار 1943 في ريدونديلا (غاليسيا) في إسبانيا. وترعرع في طنجة حيث استقر والده، اللذان كانا من أنصار الجمهوريين الإسبان، واضطرا الى الهرب من دكتاتورية فرانكو الفاشية. أمضى إغناسيو رامونيت شبابه في طنجة. ودرس الهندسة وعلم الاجتماع في بوردو والرباط وباريس. حصل على الدكتوراه في علم الأحياء وتاريخ الثقافة من المدرسة العليا للدراسات العليا للعلوم الاجتماعية في باريس. وعمل في فرنسا منذ عام 1972 في التدريس في جامعة باريس - السابعة، وبدأ نشاطه كصحفي وناقد سينمائي. وهو حاصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة سانتياغو دي كومبوستيلا وجامعة قرطبة الوطنية وجامعة روزاريو الوطنية وجامعة هافانا وجامعة سانتو دومينغو.

في سنوات 1991 - 2008 ترس تحرير جريدة لوموند ديبلوماتيك الشهيرة الصادرة في باريس.

وهو مستشار لدى الأمم المتحدة، والرئيس الفخري للحركة المضادة للعولمة (اتاك)، التي تأسست بعد نشره مقالا افتتاحيا في لوند ديبلوماتيك بعنوان «نزع سلاح الأسواق» في عام 1997. وهو أحد مؤسسي المنتدى الاجتماعي العالمي، والمرصد الإعلامي العالمي. والمدير الحالي لقناة «تيلا سور» الامريكية اللاتينية ومقرها كاراكاس في فنزويلا.

وتنشر العديد من صحف العالم مقالاته وبحوثه بلغات متعددة. ويعد اغناسيو رامونيت أبرز الشخصيات المناصرة للشورة الكويية. وربطته علاقة صداقة وثيقة بالزعيم الكوي الراحل فيدل كاسترو،

والرئيس الفنزويلي الراحل شافيز. ومنذ سنوات يمضي رامونيت الكثير
من وقته في العاصمة الكويتية هافانا

الجزء الأول

حقيقة اجتماعية

كل شيء يحدث بسرعة متناهية. لم ينتشر أي وباء بهذه السرعة وبهذه السعة. ظهر الفايروس، قبل 100 يوم فقط، في مدينة بعيدة ومجهولة، وسيطر بالفعل على العالم كله، وأجبر مليارات من البشر على المكوث في منازلهم. شيء ما كان يمكن تخيله في روايات ما بعد نهاية العالم فقط.

في غضون ذلك، لا أحد يتجاهل حقيقة ان الوباء لا يمثل ازمة صحية فقط. انه يجسد ما يوصف في العلوم الاجتماعية بـ «حدث مجتمعي شامل»، بمعنى أنه يهز كل العلاقات الاجتماعية وجميع الجهات الفاعلة والمؤسسات والقيم.

تعيش البشرية تجربة جديدة تمامًا - مليئة بالخوف والمعاناة والعجز. نؤكد بشكل ملموس على أن نظرية «نهاية التاريخ» هي مغالطة... ونكتشف حقيقة أن التاريخ لا يمكن التنبؤ به. نحن نواجه حالة غامضة. غير مسبوقة⁽¹⁾. لا يمكن لأحد أن يفسر ويضيء هذه اللحظة الغريبة الغامضة، التي تهتز فيها مجتمعاتنا من أسسها، وكأنها تهتز بفعل كارثة كونية. وليس هناك علامة تدلنا على الطريق... عالم ينهار. عندما ينتهي كل شيء، لن تعود الحياة كما عهدناها.

حتى قبل بضعة أسابيع، كان هناك عشرات الاحتجاجات في العالم، من هونغ كونغ إلى سانتياغو دي تشيلي، مروراً بطهران وبغداد وبيروت والجزائر وباريس وبرشلونة وبوغوتا. خنقها فايروس كورونا المستجد

(1) José Natanson, «Lo imposible», Le Monde diplomatique Edición ono Sur, Buenos Aires, April 2020.

واحدًا تلو الآخر، حيث انتشر بسرعة وعنف في جميع أنحاء العالم... مشاهد الحشود السعيدة التي تحتل الشوارع والساحات تبعها صور غير مألوفة للشوارع الفارغة والصامتة والأشباح. رموز صامتة ستشكل ذكرى ابدية لهذه اللحظة الغريبة.

نحن نعاني في وجودنا «تأثير الفراشة» الشهير: شخص ما في الجانب الآخر من الكوكب يأكل حيوانًا غريبًا، وبعد ثلاثة أشهر يجد نصف البشرية نفسه في الحجر الصحي... دليل على أن العالم هو نظام يتفاعل كل عنصر من مكوناته، مهما كان ضئيلًا، مع العناصر الأخرى، وفي النهاية يؤثر على الجميع.

بخوف تتجه عيون المواطنين الى العلم والعلماء - مثلما كان عليه الدين في الماضي - داعين إلى اكتشاف لقاح منقذ، سيستغرق تطويره عدة أشهر. لأن جهاز المناعة البشري يحتاج وقتًا لإنتاج الأجسام المضادة، وبعض الآثار الجانبية الخطيرة تحتاج وقتًا هي الأخرى لتصبح مرئية.

يبحث الناس أيضًا في الدولة عن ملجأ وحماية، التي يمكن ان تتدخل، بعد الوباء، على حساب السوق بشكل متزايد بعد الوباء. وعموما: كلما كان الخوف الجماعي أكثر صدمة، زادت الرغبة في الدولة، والسلطة، والتوجيه. ومن ناحية أخرى، فإن المنظمات الدولية ومتعددة الأطراف من جميع الأنواع (الأمم المتحدة، والصليب الأحمر، مجموعة السبعة، مجموعة العشرين، صندوق النقد الدولي، حلف شمال الأطلسي، البنك الدولي، منظمة الدول الأمريكية، ومنظمة التجارة العالمية، إلخ) ليست في مستوى المأساة بسبب صمتها أو تناقضها. والكوكب يكتشف بدهشة، عدم وجود قبطان على متنه.

وبسبب تواطؤ هيكلها مع شركات الأدوية متعددة الجنسية⁽¹⁾ تعرضت مصداقية منظمة الصحة العالمية الى التشكيك، ولذلك لا تملك المنظمة ما يكفي من السلطة، لتقود كفاح العالم ضد الآفة الجديدة، كما ينبغي ان يكون عليه الحال في الواقع.

وفي هذه الاثناء، اصبحت الحكومات، التي لا حول ولا قوة لها، شاهدا على انتشار هذا الطاعون الجديد في جميع القارات⁽²⁾. وفي مقابل ذلك لا يوجد لقاح ولا دواء ولا شافي ولا علاج يقصي الفايروس من الأجهزة الحية⁽³⁾... وسيستمر هذا الحال⁽⁴⁾ طالما أن الجراثيم موجودة في بلد ما، فإن العدوى الجديدة ستكون حتمية ودورية. ومن المحتمل جدا لا يمكن وقف هذا الوباء حتى يصيب الفايروس قرابة 60 في المائة من البشرية.

وما بدا وكأنه صورة معاكسة لليوتوبيا وغط دكتاتوريات الخيال العلمي أصبح «طبيعيًا». تفرض غرامات مالية على الناس إذا غادروا منازلهم، لممارسة رياضة المشي، او للقيام بنزهة مع كلابهم. نحن نقبل أن يراقبنا هاتفنا المحمول، ويبلغ السلطات عنا. ويُقترح أن يعاقب بالسجن كل من يسير بالشارع بدون هاتفه.

(1) Interview mit Germán Velásquez: «Han privatizado la OMS, la financiación privada condiciona sus decisiones», Cadena SER, Madrid, 25. August 2016.

https://cadenaser.com/ser/201616/06//sociedad/1466079742_072124.html

(2) Anfang April 2020 wiesen nur 9 Länder (mehrheitlich Inselgruppen) laut örtlichen Behörden keine Fälle von Covid-19 auf. El País, Madrid, 8. April 2020

(3) Es gibt (Stand: 22. April 2020)

لا يوجد علاج محدد «يقتل» أو يحد الفايروس مثل علاج فايروس نقص المناعة البشرية الإيدز. تهدف العلاجات الحالية لفايروس كورونا الجديد بشكل أساسي إلى تقوية جهاز المناعة لدى المصاب من أجل دحر الجرثومة

(4) Hugo Sigman, «La vacuna contra el coronavirus puede demorar de 6 meses a una año y medio», Perfil, Buenos Aires, 26. März 2020. <https://www.perfil.com/noticias/salud/coronavirus-hugo-sihman-vacuna-puede-demorar-6-meses-1-ano.phtml>

منذ فترة طويلة يجري انتقاد مرض التوحد الليبرالي الجديد، خصوصاً بسبب سياسته المدمرة المتمثلة في خصخصة أنظمة الصحة العامة بالكامل، والتي ثبت أنها إجرامية وسخيفة. وكما قال يوفال نوح هراري: «الحكومات التي وفرت الأموال عن طريق تقليص الخدمات الصحية في السنوات الأخيرة ستنفق الآن أكثر بكثير بسبب الوباء⁽¹⁾». إن صرخات آلام آلاف المرضى الذين ماتوا بسبب عدم وجود أسرة في وحدات العناية المركزة تدين المتعصبين للخصخصة، والتخفيضات وسياسات التقشف طويلة الأمد.

ويجري الآن الحديث علناً عن التأميم، إعادة التموقع، إعادة التصنيع، السيادة الدوائية والصحية. وتستخدم مرة أخرى كلمة لوصم الليبراليين الجدد وحشرهم في زاوية ونفيهم: التضامن. إن الاقتصاد العالمي مشلول بسبب أول حجر صحي عالمي في التاريخ. في جميع أنحاء العالم هناك أزمة عرض وطلب، وفي الوقت نفسه، تؤثر قرابة 170 دولة (من مجموع 195 دولة في العالم) نمواً سلبياً في عام 2020. وبعبارة أخرى: إن المأساة الاقتصادية أسوأ من الكساد العظيم عام 1929. ويتساءل الملايين من رجال الأعمال والعاملين فيما إذا كانوا سيموتون بسبب الفايروس، الإفلاس، والبطالة.

حذر ديفيد بيزلي، مدير برنامج الغذاء العالمي، من الوضع الكارثي الوشيك: «نحن على حافة» وباء سوء التغذية «. ان عدد الناس الذين يعانون من الجوع الشديد يمكن ان يتضاعف، حتى نهاية هذا العام ويتجاوز 250 مليون انسان...»⁽²⁾ لا أحد يعرف من سيهتم بالأراضي

(1) Yuval Noah Harari, «La mejor defensa contra los patógenos es la información», El País, Madrid, 22. März 2020.

(2) Offizieller Name der Krankheit, der am 11. Februar 2020 von der Weltgesundheitsorganisation (WHO) vergeben wurde und der bedeutet: coronavirus disease 2019.

الزراعية، وهل ستُفقد المحاصيل، وهل ستحصل أزمة غذاء، وهل سنعود للتقنين ثانية... نهاية العالم تطرق ابوابنا.

النقطة المضيئة الوحيدة هي أن البيئة حصلت على استراحة للتنفس لأن الكوكب في وضع إيقاف مؤقت. الهواء أكثر وضوحاً والنباتات المورقة والحياة البرية أكثر حرية. وانخفض تلوث الهواء، الذي يقتل الملايين كل عام. فجأة تبدو الطبيعة التي جرفتها أوساخ التلوث، ثانية جميلة... وكأن فيروس كورونا يقدم إنذاراً نهائياً للأرض، سيكون أيضاً تحذيراً يائساً في طريقنا الانتحاري إلى تغيير المناخ: «احذروا! المحطة التالية: انهيار».

على المستوى الجيوسياسي، فإن الهجوم المذهل من قبل فاعل غير معروف - فايروس كورونا الجديد - أزعج تماماً رقعة الشطرنج في النظام العالمي. توقف القتال على جميع جبهات الحرب - ليبيا، سوريا، اليمن، أفغانستان، الساحل، غزة، إلخ (الأمم المتحدة دعت الى وقف إطلاق النار في جميع انحاء العالم لمواجهة الوباء - المترجم). للوباء سلطة أكثر من مجلس الأمن نفسه، لقد فرض بحكم الواقع سلام كورونا....

في السياسة الدولية، وجهت إدارة الرئيس دونالد ترامب الرهيبة للأزمة ضربة قاسية للدور القيادي العالمي للولايات المتحدة، التي لم تستطع مساعدة نفسها ولا الآخرين. وفي مقابل ذلك استطاعت الصين التعافي، بعد بداية غير موفقة في التعامل مع الفايروس، وأرسلت المساعدات إلى مئات البلدان، ويبدو انها تجاوزت أكبر صدمة للبشرية منذ قرون. ان مستقبل النظام العالمي الجديد يمكن تحديده الآن...

على أية حال، فإن الحقيقة المذهلة هي أن اشد القوى والتقنيات الأكثر تقدماً أثبتت عدم قدرتها على وقف الانتشار العالمي لفايروس

كورونا المستجد⁽¹⁾، المنحدر من فايروس سارس-كوفيد2، القاتل الكبير
الجديد للكوكب.⁽²⁾

(1) Bedeutung: Coronavirus 2 des schweren akuten respiratorischen Syndroms (SARS-CoV-2).

(2) Manuel Ansele, «¿Salió el coronavirus de un laboratorio?», El País, Madrid, 17. April 2020.

فايروس كورونا

لم يتوقف تصاعد الضحايا، وحتى ساعة كتابة هذه المقالة تجاوز عدد الموتي 150 ألف. وعدد المصابين بالفايروس أكثر من 2,5 مليون. وعدد الذين المحجورين في منازلهم يرتقي الى 4 مليار انسان. والأخير لم يحدث فيما سبق. ان مفردات مثل «حظر التجوال» و«الحجر الصحي»، والتي يبدو أنها تنتمي إلى العصور المنسية ومعجم العصور الوسطى، أصبحت تعبيرات شائعة. انها توضح، في النهاية، بأفضل الأشكال، راهننا غير الطبيعي.

هناك جدل في أعلى المستويات⁽¹⁾ حول أصل هذا الفيروس، الذي ظهر لأول مرة في ووهان الصينية. وبما أن «المريض صفر»، أول إصابة نتيجة انتقال العدوى من الحيوان إلى الإنسان، لم يتم تحديدها بعد⁽²⁾، فإن هناك تكهنات مختلفة منتشرة. من جانب، اتهمت السلطات في بكين الجيش الأمريكي بإنتاج الجراثيم في مختبر عسكري في فورت ديتريك (فريدريك، ماريلاند) كسلاح جرثومي لوقف صعود الصين في العالم، ونشرته في الصين خلال الألعاب العسكرية العالمية، التي جرت في تشرين الأول 2019. في مدينة ووهان ال صينية⁽³⁾.

(1) China acusa al ejército de EE.UU. de instalar el coronavirus », El País, Madrid, 14. März 2020.

(2) Allerdings wurde Patient 1 in China identifiziert: Ein 55-jähriger Mann, der in der Provinz Hubei lebt, war der erste bestätigte Fall von Covid-19 und geht auf den 17. November 2019 zurück, Wochen bevor China die Welt offiziell alarmiert hat.

(3) Clarín, Buenos Aires, 18. April 2020.

من جانب آخر، اتهم الرئيس ترامب بكين في عدة مناسبات⁽¹⁾ بعد أن اتهم السناتور الجمهوري واسع التأثير من أركنساس توم كوتون، الذي شغل لبعض الوقت منصب المدير التالي لجهاز المخابرات المركزية الأمريكية، العلماء العسكريين الصينيين⁽²⁾ بإنتاج الجراثيم الجديدة في مختبر «الفيرسات والأمن البيولوجي» موجود أيضا في مدينة يوهان.⁽³⁾ تم تداول هذه التصورات المتناقضة (وهناك أخرى)⁽⁴⁾ على نطاق واسع، من قبل منظري المؤامرة من كلا الجانبين على الشبكات الاجتماعية⁽⁵⁾. وهي تستند على أسس ضعيفة. وتستبعد الدراسات العلمية الموثوقة أن فايروس كورونا المستجد هو سلاح بيولوجي

(1) حاولت شبكات التواصل الاجتماعي في الولايات المتحدة أيضًا إثبات الأطروحة (الخاطئة) القائلة بأن العالم الأمريكي تشارلز ليبر، وهو عبقري في تكنولوجيا النانو (علم الجزيئات متناهية الصغر- المترجم)، أستاذ في جامعة هارفارد، صنع فيروس كورونا الجديد وباعه إلى السلطات الصينية. وجاء اعتقال البروفيسور ليبر بأمر من المدعي العام الأمريكي لمحكمة مقاطعة ماساتشوستس أندرو ليلينج في 28 كانون الثاني 2020 بتهمة تلقيه أموالاً من جامعة ووهان للتكنولوجيا لمشاركته المزعومة في خطة آلاف المواهب التي أطلقها الصين لتجنيد العلماء الصينيين المقيمين في الخارج، والأجانب لجامعاتها (والتي من الواضح ألا علاقة لها بفيروس كورونا) كانت بمثابة ذريعة للأخبار المزيفة التي كانت تنتشر على نطاق واسع <https://observers.france24.com/fr/20200403-non-scientifique-americain-charles-lieber-covid-19-chine-etats-unis>

(2) «Republican senator: It's time to hold China «accountable» for the coronavirus», Business Insider, 12. März 2020.

(3) «Un periodista de la TV argentina acusa a los judíos de crear el Coronavirus», Aurora, Israel, 3. April 2020; und «Coronavirus: fuerte reacción ante la teoría conspirativa que difundió C5N», La Nación, Buenos Aires, 2. April 2020.

(4) Siehe: «El coronavirus y sus bulos: 378 mentiras, alertas falsas y desinformaciones sobre COVID-19», Maldita.es, 7. April 2020. <https://malditobulo/202007/04//coronavirus-bulos-pandemia-prevenir-virus/>

(5) Amparo Tolosa, «Acotando el origen del coronavirus SARS-CoV-2», Genética Médica News, Valencia (España), 1. April 2020.

مصمم تم إطلاقه عن عمد أو عن طريق الخطأ⁽¹⁾؛ «تشير تحليلاتنا بوضوح الى ان سارس كوفيد2 ليس منتج مختبري ولا فايروس تم التلاعب به عن قصد»⁽²⁾، هذا ما قاله بشكل قاطع البروفيسور إدوارد سي هولمز من جامعة سيدني، وهو خبير عالمي رائد في مسببات الأمراض الجديدة.

ما زلنا لا نعرف الكثير عن هذا الفايروس المعدي: لا نعرف على سبيل المثال، ما إذا كان قد تحول بالفعل أم أنه سيستمر في التحور... أو لماذا يصيب الرجال أكثر من النساء. ولا نعرف ايضاً، ما الذي يحدد ما إذا كان شخصان لهما خصائص متشابهة - شابان وسيمان وبدون أمراض سابقة - يصابون بأشكال متعارضة من المرض، أحدهما سهل والآخر حاد أو مميت. ولا حتى لماذا لا يعاني الأطفال تقريباً من حالات شديدة من العدوى. ولا حتى هل سيستمر المتعافون من المرض بنقل العدوى؟ ام انهم أصبحوا في مأمن من المرض.

ولكن هناك اتفاق واسع بين الباحثين العالميين⁽³⁾ على أن هذه الجرثومة الجديدة ظهرت بنفس الطريقة التي ظهرت بها سابقاتها من قبل: عبر الانتقال من الحيوانات إلى البشر... الخفافيش والطيور والثدييات المختلفة (خاصة الخنازير) تحتوي بشكل طبيعي على العديد من فيروسات كورونا. هناك سبعة أنواع معروفة من فيروسات كورونا التي يمكن ان تصيب البشر. أربعة منها تسبب أنواع مختلفة

(1) Kristian G. Andersen, Andrew Rambaut, W. Ian Lipkin, Edward C. Holmes, «The proximal origin of SARS-CoV-2 », Nature Medicine, 17. März 2020.

(2) Roujian Lu, Xiang Zhao, Juan Li, Peihua Niu, Bo Yang, Honglong Wu et al., «Genomic characterisation and epidemiology of 2019 novel coronavirus: implications for virus origins and receptor binding», The Lancet, London, 30. Januar 2020.

(3) Helen Briggs, «Coronavirus: cómo se estrecha el cerco sobre el pangolín como probable transmisor del patógeno que causa el covid-19», BBC News, 27. März 2020.

من نزلات البرد. وثلاثة مسببات أخرى ظهرت مؤخرًا تسبب أمراضًا أكثر فتكًا، مثل الالتهاب الرئوي الحاد، (سارس)، الذي انتشر في عام 2002؛ التهابات جهاز التنفس في الشرق الأوسط (ميرس)، التي ظهرت في عام 2012؛ وأخيرًا هذا المرض الجديد كوفيد 19، الناجم عن سارس كوفيد 2-، والذي اكتشف انتشاره أول مرة، كما سبق ذكره، في سوق ووهان للمأكولات البحرية في كانون الأول 2019. يعد الخفاش «المضيف الاصلي» للجراثومة، و«مضيف وسيط» البنغول⁽¹⁾؟ لم يتم تحييده رسميًا بعد، انتقل منه، بعد ان أصبح خطيرا جدا، الى البشر.

وما لم يتضح بشكل كامل حتى الآن هو السبب في أن هذا المرض الجديد، يمكن أن تسبب مثل هذا الوباء الهائل؟ حيث أننا نتعايش فعليًا مع ست فيروسات كورونا أخرى ونسيطر عليها في جميع أنحاء العالم، وما المميز في هذه الفايروس؟ لماذا تجاوز معدل الإصابة به توقعات أفضل السلطات الصحية في العالم؟

ومما لا شك فيه، وكما تكررت الإشارة الى ذلك مرات عديدة، فإن الظروف التي لا علاقة لها بالفايروس، مثل سرعة الاتصالات الحالية، وفرط الحركة وكثافة التبادل في عصر العولمة، ساعدت على انتشاره. ولكن لماذا لم تجري «عولمة» فايروس «السارس» في عام 2002 أو فايروس ميرس في عام 2012، والتي تسببها أيضًا الفيروسات كورونا الجديدة، على قدم المساواة في جميع أنحاء العالم؟

للإجابة على هذه الأسئلة، ان أول شيء يجب أن نتذكره هو أن «الفيروسات مقلقة لأنها ليست ميتة ولا حية. إنها ليست حية لأنها غير قادرة على إعادة انتاج نفسها. وهي ليست ميتة لأنها تستطيع اختراق خلايانا وتختطف آلاتها وتكاثر. وهي فعالة ومتطورة، لأنها

(1) Siehe dazu die ausgezeichnete Studie von Artur Galocha und Nuño Domínguez, «Así infecta el coronavirus», El País, Madrid, 11. März 2020.

تطور، منذ ملايين السنين، طرقًا جديدة لتجاوز نظام مناعتنا»⁽¹⁾.

ولكن ما يميز فايروس كورونا المستجد عن الفايروسات القاتلة الأخرى هو استراتيجيته في الانتشار الصامت. أي قدرته على الانتشار دون إثارة الشكوك، حتى بين ضحاياه. على الأقل في الأيام الأولى من الإصابة، عندما لا تظهر على الشخص المصاب أية اعراض للمرض. لا نعرف بالضبط سبب انتشار الفايروس بسرعة، ولكن ما نعرفه هو أنه في اللحظة التي يدخل فيها جسم الضحية من خلال العين أو الأنف أو الفم، يبدأ بالتكاثر بشكل كبير... ووفقا للباحثة إيزابيل سولا من المركز الوطني الإسباني للتكنولوجيا الحيوية: «مجرد وجوده في الخلية البشرية الأولى، فإن كل فايروس كورونا ينتج ما يصل إلى 100 ألف نسخة منه في أقل من 24 ساعة...»⁽²⁾. وأكثر من ذلك، يتمتع الفايروس بميزة فريدة وذكية أخرى، عندما يخترق جسم الإنسان، لا يمكن اكتشاف هجومه الأول، ويركز على الشعب الهوائية العلوية للشخص المصاب، من الأنف إلى الحنجرة حيث يتكاثر بقوة محمومة. ومنذ تلك اللحظة، يصبح المصاب- الذي لا يشعر بأي شيء - قنبلة فايروسية ويبدأ بنشر الفايروس القاتل بشكل كبير إلى محيطه ببساطة متناهية، عن طريق التحدث أو التنفس...

هذه هي السمة الرئيسية، والتفرد القاتل لفايروس كورونا الجديد. في الصين، سبب قرابة 86 في المائة من حالات العدوى أشخاص لا تظهر عليهم أعراض ولا توجد علامات واضحة للمرض. وفي جامعة اكسفورد، اظهرت مجموعة من الباحثين ان ما يصل الى نصف عدوى السارس كوفيد 2 ترجع الى اشخاص لم يتم تشخيصهم ولا تظهر عليهم

(1) El País, Madrid, 14. März 2020.

(2) Siehe dazu die beiden grundlegenden Artikel von Tomás Pueyo, «Coronavirus: Por qué tenemos que actuar ahora» y «Coronavirus: el martillo y el baile», Página 12, Buenos Aires, 16. bzw. 21. März 2020.

اعراض واضحة للمرض. وتعاني أقلية فقط من المصابين من الهجوم الثاني للجراثومة، وهذه المرة تتركز في الرئتين، على غرار فايروس سارس في عام 2002 (على الرغم من أن قدرة فايروس كورونا الجديد أعلى بألف مرة من سارس)، ويسبب الالتهاب الرئوي، الذي يصيب في الغالب الذين تجاوزوا 65 سنة من العمر، وبالنسبة للذين يعانون منهم من أمراض مزمنة يمكن أن تكون الاصابة قاتلة.

ونظراً لأن عدد المصابين هائل وفي آن واحد، فإن هذه الأقلية، التي تشكل 15 بالمائة من جميع المصابين، الذين يذهبون إلى المستشفيات، يمكن أن تقابل بسرعة أعداد كبيرة جداً ارتباطاً بعدد السكان... كما حدث في الصين، إيران، إيطاليا، إسبانيا وفرنسا، بريطانيا العظمى، والولايات المتحدة الأمريكية، ويكفي أن ينقل عدة آلاف من المصابين إلى صالات طوارئ المستشفيات في آن، فينهار النظام الصحي للبلد بأكمله، بغض النظر عن مدى تطوره⁽¹⁾.

سرعان ما يجاوز ما يحدث طاقة الأطباء والممرضين، وفي ووهان وطهران وميلانو ومديرد وباريس ولندن ونيويورك، كان هناك نقص في الأقنعة، والمعقمات، والملابس الواقية للعاملين، وأسرة العناية المركزة، وأجهزة التهوية، وما إلى ذلك. وفي العديد من المدن (ووهان، ومديرد، ونيويورك)، اضطرت السلطات المنهكة إلى اللجوء إلى القوات المسلحة أو المتطوعين المدنيين لبناء مستشفيات مؤقتة، تحت ضغط عال، لتوفير آلاف الأسرة. وفي كل مكان تقريباً، اعترفت السلطات بأنها لم تتوقع مثل هذا الاعصار الجليدي من المرضى، «تسونامي مستمر لمرضى في حالة خطيرة...»⁽²⁾

(1) El Periódico, Barcelona, 26. März 2020.

(2) CNN en español, Atlanta, 3. April 2020.

<https://cnnespanol.cnn.com/202003/04//altos-funcionarios-del-gobierno-trump-dijeron-el-ano-pasado-que-la-amenaza-de-una-pandemia-los-preocupaba/>

اعلان مسبق عن الوباء

ردا على سيل من الانتقادات لما اعتبره الجمهور «سوء إدارة» للوباء، جادل بعض المديرين التنفيذيين أيضًا بأن سرعة هجوم الوباء فاجأتهم... عندما حدثت أولى الوفيات بفايروس كورونا في بلاده - بعد أشهر من انتشار الوباء في الصين أو أوروبا - لم يتردد ترامب، على سبيل المثال، في القول مرارًا وتكرارًا أنه «لم يكن أحد يعلم أنه سيكون هناك وباء أو طاعون بهذا الحجم» وأنه كان «مشكلة غير متوقعة»، «أمر لم يتوقعه أحد»، «ظهر من العدم».⁽¹⁾

ويمكن أن يقال الكثير لتبرير عدم استعداد السلطات لهذه الآفة الوحشية، لكن حجة المفاجأة غير مقبولة.

أولاً، لأن هناك قولاً مأثوراً في اوساط الصحة العامة: «حدوث الكوارث أمر حتمي، والأوبئة ليست كذلك».

ثانياً، لأن العشرات من كتب الخيال والخيال العلمي (من جيمس جراهام بالارد إلى ستيفن كينج وكورماك مكارثي إلى المخرج ستيفن سودربيرغ في فيلمه المعدي عام 2011) قد وصفوا على نطاق واسع الكابوس الصحي المروع الذي يهدد العالم.

ثالثاً، لأن الشخصيات الحكيمة [روزا لوكسمبورغ، غاندي، فيدل كاسترو، هانز يوناس (فيلسوف الماني امريكي-المترجم)، إيفان إليش (كاتب وفيلسوف ورجل دين الماني-المترجم)، يورغن هابرماس (فيلسوف وعالم اجتماع الماني - المترجم)]حذرت منذ زمن طويل من أن نهب البيئة وتدميرها قد يكون لهما عواقب وخيمة على الصحة.

(1) Durch das H5N1-Virus, das 1997 auch die Hongkong-Grippe und 1918 die «spanische» Grippe in Kansas verursachte, starben 50 bis 100 Millionen Menschen.

رابعاً، لأن الأوبئة الأخيرة مثل السارس في عام 2002، وأنفلونزا الطيور في عام 2005⁽¹⁾، وأنفلونزا الخنازير في عام 2009⁽²⁾ ومارس 2012 وصلت بالفعل في بعض الحالات إلى مستويات وبائية لا يمكن السيطرة عليها وتسببت في وفاة الآلاف في جميع أنحاء العالم.

خامساً، عندما حدثت أول حالة وفاة بفيروس كورونا الجديد في الولايات المتحدة في نيوجيرسي في 10 آذار 2020، كان الوباء قد انتشر قبل قرابة ثلاثة أشهر في ووهان. وأربك أنظمة الرعاية الصحية في الصين والعديد من البلدان الأوروبية؛ أي أنه كان هناك وقت للاستعداد.

وسادساً، لأن العشرات من التوقعات والعديد من الدراسات الحديثة قد أفصحت عن تحذيرات خطيرة للغاية من ظهور وشيك لفيروس جديد يمكن أن يتسبب في شيء مثل أم لجميع الأوبئة.

ربما تم تقديم أهم هذه التحليلات في تشرين الثاني 2008 من قبل مجلس الاستخبارات الوطني التابع لقسم الإستراتيجيات الجيوسياسية بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، الذي قدم تقريراً إلى البيت الأبيض بعنوان «الاتجاهات العالمية 2025: عالم متحول»⁽³⁾. كانت هذه الوثيقة نتيجة لتجميع الدراسات - التي تم التحقق منها من قبل الأجهزة السرية الأمريكية - والتي أجراها حوالي 2500 خبير مستقل من جامعات في 35 بلداً في أوروبا والصين والهند وأفريقيا وأمريكا اللاتينية والعالم العربي والإسلامي، إلخ.

(1) Siehe dazu Ignacio Ramonet, «Los culpables de la gripe porcina», Le Monde diplomatique en español, Valencia (España), Juli 2009.

(2) Siehe dazu den vollständigen Berichtstext auf Englisch: [Ghttps://www.files.ethz.ch/isn/9476911_2008/_Global_Trends_2025.pdf](https://www.files.ethz.ch/isn/9476911_2008/_Global_Trends_2025.pdf)

(3) Ken Klippenstein, «Military Knew Years Ago That a Coronavirus Was Coming», The Nation, New York, 1. April 2020.

وبشعور غير عادي وبلا ترقب، أعلنت الوثيقة السرية «ظهور مرض يصيب الجهاز التنفسي للإنسان: جديد وسريع للغاية وخبيث لا توجد تدابير مضادة كافية لمواجهته يمكن أن يصبح بحلول عام 2025 وباءً عالمياً». وحذر التقرير من أن «ظهور مرض وبائي يعود إلى طفرة أو إعادة ترتيب جيني للسلاسل المنتشرة حالياً من المرض، أو ظهور مسببات مرضية جديدة وهي سلالة شديدة الإصابة من أنفلونزا الطيور أو عوامل أخرى مثل فيروس كورونا السارس. يمكن أن يكون لها أيضاً هذه الإمكانية».

وحذر التقرير في وقت مبكر من أنه «إذا تفشى المرض الوبائي، فمن المحتمل أن يحدث في منطقة تتميز بكثافة سكانية عالية واتصال وثيق بين الإنسان والحيوان، كما هو الحال في العديد من مناطق جنوب الصين وجنوب شرق آسيا، حيث لا تخضع الحياة البرية للتنظيم. وبالتالي يتحور الفيروس ويسبب مرضاً وبائياً معدياً...».

وتوقع معدو التقرير أيضاً خطر رد فعل السلطات شديد البطء: «قد يستغرق الأمر أسابيع حتى تؤكد النتائج المخبرية النهائية وجود مرض وبائي جديد. وفي غضون ذلك، سيظهر أول المصابين في مدن جنوب شرق آسيا. وعلى الرغم من القيود المفروضة على السفر في العالم يمكن للمسافرين الذين يعانون من أعراض خفيفة أو لا تظهر عليهم أعراض أن ينشروا المرض إلى قارات أخرى [...]» «بحيث تظهر في غضون بضعة أشهر موجات من حالات الإصابة الجديدة. إن الافتقار إلى لقاح فعال ومناعة عامة سيجعل السكان عرضة للعدوى. وفي أسوأ الأحوال، سيصاب عشرات إلى مئات الآلاف من الأمريكيين بالمرض وسيصل عدد الوفيات إلى الملايين في جميع أنحاء العالم».

وكان هذه الوثيقة لم تكن كافية، حذر تقرير آخر، قدم في كانون الثاني 2017، هذه المرة من البنتاغون وموجه أيضاً إلى رئيس الولايات

المتحدة (الذي كان اسمه بالفعل دونالد ترامب)، مرة أخرى وبوضوح من أن «التهديد الأكثر ترجيحًا والأكثر أهمية هو مرض جديد يصيب الجهاز التنفسي للمواطن الأمريكي» «وفي هذا السيناريو» ستهرع جميع الدول المتقدمة، بما في ذلك الولايات المتحدة، إلى أجهزة التنفس والأدوية وأسرة المستشفيات ومعدات الحماية والأقنعة لمواجهة الوباء المحتمل».⁽¹⁾

وعلى الرغم من هذه التحذيرات الصريحة والمتكررة، لم يتردد دونالد ترامب بعد أشهر قليلة من هذا التقرير الأخير (!) في حل لجنة مجلس الأمن القومي للصحة والأمن البيولوجي العالمية، برئاسة الأدميرال تيموثي زيمر، وهو خبير معروف في علم الأوبئة.⁽²⁾ كانت هذه اللجنة الفنية تحديدًا هي التي ستدير عملية صنع القرار في حالة حدوث وباء جديد.

ويقول الصحفي لورانس رايت، الذي أجرى مقابلة مع زيمر وجميع أعضاء اللجنة، «لكن» ترامب قضى على أولئك الذين يعرفون الأكثر عن هذا الأمر... وهو واحد من الأخطاء الجسيمة العديدة التي ارتكبتها الرئيس الأمريكي. وستظهر عمليات التوثيق أنه كان مسؤولاً عن واحدة من أكثر إخفاقات الصحة العامة كارثية في تاريخ هذه البلاد. لو أنه استجاب قبل أشهر لتحذيرات وكالات الاستخبارات و خبراء الصحة العامة قبل التهديد الخطير الذي مثله تفشي فيروس كورونا في الصين، لكان من الممكن تجنب الانفجار الحالي لحالات الإصابة بالفايروس».⁽³⁾

(1) The Washington Post, Washington, 10. Mai 2018.

(2) El País, Madrid, 31. März 2020.

(3) Im Vorwort des Dokuments unter dem Titel «Un Mundo en peligro: informe anual sobre la preparación mundial para las emergencias sanitarias», das von führenden Epidemiologen und Wissenschaftlern aus der ganzen Welt erstellt und von Gro Harlem-Brundtland, der ehemaligen Generaldirektorin der WHO, und Elhadj As Sy, Generalsekretärin des Internationalen Roten Kreuzes, unterzeichnet wurde. https://apps.who.int/gpmb/assets/annual_report/GPMB_Annual_Report_Spanish.pdf

وكان من الممكن أن يكون كافياً لو ترامب وقادة العالم الآخرون اصغوا الى التحذيرات المتكررة الصادرة من منظمة الصحة العالمية ذاتها. وعلى وجه الخصوص، نداء الإنذار الصادر من المنظمة في ايلول 2019، أي عشية الانتشار الأول لفايروس كورونا الجديد في ووهان الصينية. لقد حذرت منظمة الصحة العالمية من أن وباء مقبلا يمكن أن يصبح كارثيا: «إننا نواجه تهديدا حقيقيا للغاية متمثلا في وباء سريع الحركة وقاتل جدا ناجم عن فايروس يسبب أمراضا في الجهاز التنفسي، يقتل ما بين 50 إلى 80 مليون انسان ويمكن ان يدمر قرابة 5 في المائة من الاقتصاد العالمي. إن وباء عالميا بهذا الحجم سيكون كارثة ويسبب فوضى واسعة النطاق وعدم الاستقرار وانعدام الأمن. والعالم غير مستعد لمواجهة(1).

وبشكل أكثر دقة، حذر تقرير سابق آخر بالفعل من الخطر النوعي لفيروسات كورونا الجديدة: «إن وجود مخزون كبير من الفيروسات الشبيهة بالسارس في خفافيش حدوة الحصان، إلى جانب ثقافة أكل الثدييات الغريبة في جنوب الصين يمثل قبلة موقوتة... ولا ينبغي استبعاد انتشار سارس آخر من فيروسات كورونا حيوانية جديدة. لذلك، من الضروري التهيؤ والاستعداد»(2).

بين عامي 2011 و2019، قرع العديد من العلماء مراراً وتكراراً أجراس الإنذار حول تفشي عدوى متعددة، والتي وفق رأيهم، تندر بزيادة وتيرة مسببات الأمراض التي يحتمل أن تنتشر بسرعة والتي

(1) Vincent C. C. Cheng, Susanna K. P. Lau, Patrick C. Y. Woo y Kwok Yung Yuen, de la Universidad de Hong Kong, «Severe Acute Respiratory Syndrome Coronavirus as an Agent of Emerging and Reemerging Infection », Clinical Microbiology Reviews, Washington, Oktober 2007.

(2) <https://www.investigacionyciencia.es/blogs/medicina-y-biologia/27/posts/en-2007-la-ciencia-predijo-esta-pandemia-nadie-hizo-caso-18485>

يصعب السيطرة عليها بشكل متزايد...⁽¹⁾ كان الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما قد أشار في كانون الأول 2014 إلى أن الاستثمار في البنية التحتية للقطاع الصحي ضروري لمواجهة احتمال ظهور نوع جديد من الأوبئة. وذكر بأن كارثة مثل «إنفلونزا كانساس» (تسمى بشكل خاطئ «الأنفلونزا الإسبانية») التي حدثت في عام 1918 يمكن أن تتكرر في أي وقت: «من المحتمل أن تأتي لحظة نواجه فيها مرضاً مميتاً، وفي كل مكان. وللتعامل معه نحتاج إلى بنى تحتية، ليس فقط هنا في الولايات المتحدة، ولكن أيضاً في جميع أنحاء العالم، حتى نتمكن من اكتشافه بسرعة وعزله».⁽²⁾

ومن المعروف أيضاً أن بيل جيتس، مؤسس مايكروسوفت، حذر في عام 2015 من أن جميع المتطلبات الأساسية لظهور آفة عدوى جديدة موجودة، ويمكن للمرضى الذين لا تظهر عليهم أعراض أن ينتشروا بسهولة في جميع أنحاء العالم: «يمكن أن يظهر فياروس»، وأوضح، أنه «على الرغم من الإصابة بالفعل، سيكون الناس بصحة جيدة بما يكفي لركوب طائرة أو الذهاب إلى الأسواق... وبالتالي يمكن أن ينتشر الفايروس في جميع أنحاء العالم بسرعة كبيرة... ويقدر البنك الدولي أن مثل هذا الوباء العالمي سيكلف ما لا يقل عن ثلاث تريليونات دولار، ويؤدي لوفاة الملايين والملايين...»⁽³⁾

بعبارة أخرى، حتى لو كره دونالد ترامب وأولئك القادة الذين تحدثوا عن «المفاجأة» أو «الدهشة»، فإن الواقع يبدو كالتالي: ان الخطر الوشيك لتفشي فيروس كورونا جديد يمكن أن ينتقل من

(1) Erklärung vom 2. Dezember 2014 anlässlich seines Besuches am National Institute of Health (NIH) in Bethesda, Maryland.

(2) BBC News Mundo, Londres, 23. März 2020.

(3) Debate, Barcelona, 2020.

الحيوانات إلى البشر ويسبب وباء رهيبا معروفا منذ سنوات... «كان العلم يعرف أن هذا سيحدث. وكانت الحكومات تعلم أنه يمكن أن يحدث، لكنها لم تكلف نفسها عناء الاستعداد»، كما يوضح المراسل العلمي المخضرم والكاتب ديفيد كوامين، الذي سافر إلى جميع أنحاء الكوكب من أجل انجاز كتابه «الانتشار، التهابات الحيوانات والوباء البشري التالي»⁽¹⁾، ولملاحقة مسار فيروسات حيوانية المصدر، تنتقل من الحيوانات إلى البشر. «التحذيرات كانت تقول يمكن ان يحدث ذلك خلال ثلاث سنوات أو ثماني سنوات، السياسيون قالوا لأنفسهم: لن أنفق المال على شيء قد لا يحدث خلال فترة ولايتي. لذلك لم يتم إنفاق أي أموال على أسرة المستشفيات ووحدات العناية المركزة والمرائح والأقنعة والقفازات... العلم والتكنولوجيا للتعامل مع الفيروس متوفران، لكن الإرادة السياسية كانت مفقودة. هناك أيضًا ضعف في الإرادة لمكافحة تغير المناخ. والفرق بين الفايروس وتغير المناخ هو أن الاول يقتل بشكل أسرع»⁽²⁾.

وبعبارة أخرى أيضا، من الواضح ان هذا الوباء هو الكارثة الأكثر توقعًا في تاريخ الولايات المتحدة. وفي وقت أقرب بكثير من بيرل هاربور (قاعدة عسكرية أمريكية هاجمها اليابانيون خلال الحرب العالمية الثانية - المترجم)، اغتيال كندي، و11 أيلول. كانت التحذيرات من الهجوم الوشيك لفايروس كورونا الجديد أكثر من عديدة وعلنية. ولم يتطلب الأمر أي تحقيق استخباري خارق لمعرفة المخفي. كل شيء كان معروفا وكنتم تعلمون... كان بالإمكان تفادي الكارثة.

(1) El País, Madrid, 20. April 2020.

(2) Darío Aranda, «La dimensión ecológica de las pandemias», Página 12, Buenos Aires, 30. März 2020.

تغير المناخ

صحيح أن أصل كل شيء، كما يقول ديفيد كوامن، يكمن في السلوك الإيكولوجي المفترس، الذي إذا لم نمنعه، سيديننا بتدمير تغير المناخ. لكن ما المقصود حقًا هو نموذج الإنتاج الذي ينهب الطبيعة ويغير المناخ لعقود. ومنذ فترة طويلة، حذر نشطاء البيئة من أن تدمير الإنسان للتنوع البيولوجي يخلق ظروفًا موضوعية لظهور فيروسات جديدة وأمراض جديدة:

يقول أليكس ريكس-بويكس، الحاصل على درجة الدكتوراه في علم الأحياء والمتخصص في تغير المناخ، أن «إزالة الغابات وفتح طرق جديدة والتعدين والصيد هي أنشطة ساهمت في إحداث أوبئة مختلفة». لقد تم العثور على فيروسات مختلفة ومسببات أمراضا أخرى في الحيوانات البرية. وعندما يحتك النشاط البشري بالحياة البرية، يمكن أن ينتقل الفيروس ويصيب الحيوانات الأليفة ثم يصل بدوره إلى البشر؛ أو مباشرة من الحيوانات البرية إلى البشر... يمكن أن تصاب الخفافيش والثدييات وحتى القواقع بأمراض يمكن أن تنتشر بين البشر في مرحلة ما إذا غيّرتنا بيئتها الطبيعية»⁽¹⁾.

تحتوي اجسام الحيوانات منذ ملايين السنين عدد كبير من الفيروسات وكانت قادرة على تطوير مناعة مضادة لها خلال هذا التعايش الطويل. ولكن عندما يبعد البشر حيوانًا من بيئته الطبيعية، فإن هذا التوازن يختل ويمكن للفيروس أن يتحور بطريقة مختلفة لم

(1) قررت اللجنة الدائمة للمجلس الوطني لنواب الشعب الصيني، أعلى هيئة تشريعية في الصين، في 24 شباط حظر التجارة والاستهلاك غير المشروعين للحيوانات البرية بشكل كامل من أجل حماية حياة وصحة السكان. برقية وكالة شينخوا، بكين، 24 فبراير 2020

يعشها الحيوان أبدًا... تدمير البيئات الطبيعية للأنواع البرية وغزو النظم البيئية الأصلية من خلال إقامة مشاريع حضرية أو صناعية يخلق ظروف خاصة لحدوث طفرات متسارعة في سلسلة الفيروسات... ربما حدث هذا في ووهان. سبق للعديد من منظمات الدفاع عن حقوق الحيوان في الصين، ان دعت إلى فرض حظر دائم على تجارة واستهلاك الحيوانات البرية من أجل الحفاظ على أنواعها، وقبل كل شيء من اجل تجنب حدوث أوبئة متوقعة.⁽¹⁾

وتجاهلت أوروبا والولايات المتحدة كل هذه التحذيرات. وعندما حدث «وباء الأوبئة»، لم تتخذ حكوماتهم أي احتياطات، ولم تعد أي استراتيجية أو تدابير لاتخاذ إجراءات قصيرة ومتوسطة وطويلة الأجل... ولكن في شرق آسيا، كانت نماذج التعامل مع الوباء أكثر نجاحًا. خاصة في كوريا الجنوبية، ففي واحدة من أكثر المقالات التي تم التعليق عليها بشأن هذه الأزمة⁽²⁾، أشاد المفكر الكوري الجنوبي بيونغ تشول هان، المقيم في برلين، وهو مؤيد لاعتماد المعطيات البيانات الاحصائية (ينظر إلى الكون على أنه تدفق لا نهاية له من البيانات، بـ «السياسة الحيوية الرقمية» التي نفذتها حكومة كوريا الجنوبية وذكر أن يمكن للدول الآسيوية التعامل مع هذا الوباء بشكل أفضل من الغرب لأنها تعتمد على التقنيات الجديدة والبيانات الضخمة والخوارزميات. ويتم التقليل من مخاطر التطفل على الخصوصية، ويعترف بيونغ تشول هان بـ «ضعف الوعي النقدي تجاه المراقبة الرقمية»، «غير موجود عمليًا في آسيا».⁽³⁾

(1) Byung-Chul Han, «La emergencia viral y el mundo de mañana», El País, Madrid, 22. März 2020.

(2) Ebd

(3) Science Magazine, 22 März 2020. <https://www.sciencemag.org/news/202003//cellphone-tracking-could-help-stem-spread-coronavirus-privacy-price>

المراقبة الإلكترونية الصحية

ينتشر فايروس كورونا الجديد بسرعة كبيرة وهناك الكثير من المصابين لا تظهر عليهم الاعراض لدرجة أنه يستحيل في الواقع تتبع انتشاره «باليد». وأفضل طريقة لتتبع مثل هذه الكائنات الحية الدقيقة التي لا يمكن اكتشافها هي استخدام نظام الكتروني يستخدم الأجهزة الخلوية لتحديد عدد المصابين بالعدوى في الدائرة القريبة.⁽¹⁾ استخدمت كوريا الجنوبية وسنغافورة والصين، التي غالبًا ما يُشار إليها على أنها دول نجحت في مكافحة فايروس كورونا، على وجه التحديد استراتيجيات البيانات الكلية والمراقبة الرقمية لإبقاء أرقام العدوى تحت السيطرة. هذا «النهج التكنولوجي»⁽²⁾ يعني التضحية ببعض خصوصية الفرد. ومن الواضح أنه يثير مشاكل.

في كوريا الجنوبية، استخدمت السلطات تطبيقًا للهواتف الذكية للتحكم بشكل أفضل في انتشار الفايروس من خلال المراقبة الرقمية للمواطنين في المناطق المصابة أو المنكوبة بالأمراض... هذا التطبيق يسمى «حماية سلامة العزل الذاتي» وتم تطويره من قبل وزارة الداخلية والأمن. يكشف التطبيق ما إذا كان المواطن في مناطق خطر ويعرف ما إذا كان فحصه إيجابيًا أم لا. إذا كان إيجابيًا، فسيطلب التطبيق الحجر الصحي. كما أنه يتتبع تحركات جميع المصابين ويحدد جهات الاتصال الخاصة بكل منهم.

(1) Evgeny Morozov, La locura del solucionismo tecnológico, Clave intelectual, Madrid, 2014.

(2) Max S. Kim, «La app que vigila a las personas en cuarentena por coronavirus», MIT Technology Review, 11 marzo 2020.

ويتم إبلاغ الأماكن التي تم فيها تواجد المصابين إلى الأشخاص الذين كانوا في المنطقة المجاورة عبر الهاتف المحمول. وجميعهم يخضعون للحجر الصحي. عندما يتلقى المواطنون أمر إحالة من مركزهم الطبي المحلي، يُحظر عليهم قانونًا مغادرة منطقة الحجر الصحي - عادة منازلهم - يطلب منهم الالتزام بعزل صارم عن أي شخص آخر، بما في ذلك أفراد العائلة.

يتيح التطبيق أيضًا إمكانية تتبع أي مشتبه به عبر الأقمار الصناعية. إذا غادر المنطقة المحظورة المخصصة، فإن التطبيق يعرف ذلك على الفور ويرسل تحذيرًا إلى كل مشتبه به والموظف المسؤول عن الرقابة في منطقته. ويمكن أن تصل عقوبة عدم الالتزام بالتعليمات إلى 8 آلاف دولار. ويرسل التطبيق أيضًا إشعارات عن حالات الإصابة الجديدة إلى الحي أو المناطق المجاورة. والهدف من ذلك هو ضمان سيطرة أفضل على الفيروس من خلال معرفة مكان تواجد المواطنين المصابين والحجر الصحي في أي وقت.⁽¹⁾

في سنغافورة، وهي دولة تمارس مراقبة شديدة، أطلقت هيئة التكنولوجيا الحكومية ووزارة الصحة تطبيقًا مشابهًا جدًا في اذار الفائت: «لنتابع معًا» للهواتف المحمولة التي يمكنها التعرف بأثر رجعي على جميع جهات الاتصال الوثيقة لكل شخص وتحذيرهم إذا كان أحد أفراد العائلة أو الأصدقاء أو المعارف موجودًا في الجوار مصاب بالفيروس. ويمكن القبض على المواطنين من خلال مجموعة بارعة من صور كاميرات المراقبة وموقع الهاتف وتحقيقات الشرطة التي يجريها «محققو الأمراض» الحقيقيون بمساعدة محتملة من إدارة التحقيقات الجنائية ومكتب مكافحة المخدرات ومخبرات الشرطة... يفرض قانون الأمراض المعدية السنغافوري على المواطنين، في حالة فريدة من نوعها

(1) Russia Today, Moskau, 15. März 2020.

في العالم، التعاون مع الشرطة. ويمكن أن تكون عقوبة عدم الانضباط غرامة تصل إلى 7 الاف دولار أو ستة أشهر سجن، أو كليهما.

واستخدمت الصين أيضًا تطبيقًا مشابهًا، «فحص صحي». يتم تثبيته عبر أنظمة المراسلة مثل «ويجات» أو «أليباي» على الهواتف المحمولة ينتج عنه «كود صحي» متدرج باللون الأخضر أو البرتقالي أو الأحمر حسب حرية التنقل الممنوحة للمواطن (حرية التنقل، الحجر الصحي لمدة أسبوع أو أسبوعين). في حوالي مائتي مدينة صينية، يستخدمه الناس للتنقل بحرية أكبر وفي المقابل يقدمون معلومات حول حياتهم الخاصة. لقد أثبت هذا التطبيق فعاليته لدرجة أن منظمة الصحة العالمية استلهمت من تطوير برنامج مماثل يسمى «صحتي»...

يعتمد «النموذج الكوري الجنوبي» الذي تبنته هذه الدول وأضافه لها هونغ كونغ وتايوان⁽¹⁾ على الاستخدام المكثف للبيانات ويرتبط بأنظمة مختلفة لـ «المراقبة بالفيديو». وحتى وقت قريب كان من الممكن أن يبدو لنا هذا الأمر حدثًا غير مألوف ومستقبلي، ولكن يتم الآن تقليده في ألمانيا وبريطانيا العظمى وفرنسا وإسبانيا والديمقراطيات الغربية الأخرى على حد سواء.

ويجب أن يقال إن بعض الدول ومشغلي شبكات الهاتف المحمول الخاصة الكبيرة قد تراكت لديهم مليارات البيانات في السنوات القليلة الماضية ويعرفون بالضبط مكان تواجد أي من المستخدمين العديدين. وقام غوغل وفيسبوك أيضًا بتخزين كم هائل من البيانات التي يمكن استخدامها للمراقبة الواسعة جدًا، والتي يمكن أن تتجاوز خصوصية المشتركين بذريعة الوباء... وما عدا ذلك، يمكن أيضًا استخدام

(1) La Nación, Buenos Aires, 10. April 2020.

التطبيقات التي تحتوي إحدائيات المدن مثل هين او تندر لتعقب المصابين... ناهيك عن حقيقة أن غوغل، مابس، اوبر، غراب، كابفاي، أو ويز، التي تعرف مسارات الملايين من زبائنها...

وتسارع استخدام السيطرة الرقمية في كل مكان. في إسبانيا، على سبيل المثال، أطلق وزير الدولة للرقمنة والذكاء الاصطناعي برنامج «داتاكوفايد» في الأول من نيسان لتتبع 40 مليون هاتف محمول للرقابة على انتشار العدوى. ومن ناحية أخرى، تجبر شركة السكك الحديدية «برنفي» الركاب على تسجيل أسمائهم وأرقام هواتفهم المحمولة عند شراء تذكرة.

وفي إيطاليا، قرر مشغلو الهاتف المحمول والإنترنت الرئيسيون مشاركة البيانات الحساسة والمخفية المصدر لزبائنهم مع مجموعة العمل للوقاية من الوباء التي تم تشكيلها في وزارة العلوم والاختراع. وفي لومباردي، يتم استخدام إشارات الأقمار الاصطناعية وبالتعاون مع مشغلي شبكات الهاتف المحمول. ويتم تعقب حركات الناس بشكل غير معلن. ووجد أنه على الرغم من حظر التجوال، فإن الحركة انخفضت بنسبة 60 في المائة فقط، أي اقل من المتوقع بكثير.

في إسرائيل، قررت الحكومة استخدام «تكنولوجيا المراقبة الرقمية المخصصة لمكافحة الإرهاب» لمتابعة الإصابات المشخصة. وأعطت وزارة العدل الضوء الأخضر لاستخدام «وسائل التتبع الاستخباراتي» لمراقبة المصابين رقمياً عبر الإنترنت والهواتف المحمولة دون موافقة المستخدم. على الرغم من اعترافها بـ «بعض التعدي على الخصوصية»، إلا أن السلطات قالت إن الهدف هو «عزل الفيروس، وليس البلد بأكمله» من خلال التحقق من الأشخاص الذين اتصل بهم المصابون، وما حدث قبل وبعد ذلك (1)

(1) La Vanguardia, Barcelona, 2. April 2020

وعلى أساس ذات الرؤية وعلى نطاق عالمي، قرر عملاقا الكوكب الرقميان غوغل وآبل توحيد الجهود لتتبع جهات الاتصال للمتضررين من الوباء. وأعلنا مؤخرًا أنهما سيعملان معًا لتطوير تقنية تسمح للأجهزة المحمولة بمشاركة المعلومات عبر البلوتوث لتحذير الأشخاص إذا تواجدوا بالقرب من أي شخص ثبتت إصابته بفيروس كورونا الجديد.⁽¹⁾

لقد أصبح كوفيد 19 أول مرض عالمي يتم مكافحته رقميًا. وبالطبع، وكما قلنا سابقًا، يثير هذا نقاشًا حول المخاطر التي تتعرض لها الخصوصية الفردية. حتى ان بعض المدافعين عن نظام المراقبة الإلكترونية يعترفون بـ: «حقيقة أن التطبيق يحدد مكان الشخص وأنه يستخدم بيانات معينة لإعداد نوع من إشارات المرور التي تعمل بمثابة شهادة سماح للخروج الى الشارع يمكن أن تتعارض مع الخصوصية.»⁽²⁾

ومما لا شك فيه أن تتبع الهواتف المحمولة، حتى وان كان لسبب وجيه، يفتح الباب لممارسة المراقبة الرقمية الجماعية. وأكثر من هذا، فان التطبيقات التي تحدد مكانك في وقت معين يمكن أن تخبر الدولة بكل شيء... وعندما ينتهي الوباء، يمكن أن ينتشر هذا الأسلوب ويصبح الوضع الطبيعي الجديد، وسيكون للدولة أيضًا إمكانية الوصول إلى السجلات الطبية الخاصة بالمواطنين وغيرها من المعلومات التي كانت محمية مسبقًا بالخصوصية. وعندما ينتهي الوباء، سترغب السلطات في جميع أنحاء العالم في استخدام المراقبة لمجرد التحكم بشكل أفضل

(1) The Economist, Londres, 26. März 2020.

(2)https://www.lemonde.fr/pixels/article/202001/04//coronavirus-les-francais-favorables-a-une-application-mobile-pour-combattre-la-pandemie-selon-un-sondage_6035233_4408996.html

في المجتمع. هذا ما حدث مع تشريعات مكافحة الإرهاب (تذكر قانون باتريوت الأمريكي⁽¹⁾) الذي شرع بعد هجمات 11 ايلول. 2001

يمكن أن تصبح جنات المراقبة الإلكترونية مثل كوريا الجنوبية وسنغافورة وتايوان والصين نماذج المستقبل. المجتمعات التي يحكم فيها نوع من مراقبة كورونا⁽²⁾، حيث يصبح التدخل في الحياة الخاصة والمراقبة التكنولوجية الكاملة شيئاً يومياً. وفي الواقع، أظهر استطلاع حديث للرأي في أوروبا حول قبول أو عدم قبول تطبيق على الهواتف المحمولة يسمح بتتبع الأشخاص المصابين بفيروس كورونا، أن 75 في المائة سيوافقون⁽³⁾. وبهذه الطريقة يمكن للحكومات - حتى الأكثر ديمقراطية - أن تعد نفسها الإخوة الكبار، الذين لا يترددون في خرق قوانينهم من أجل مراقبة مواطنيهم بشكل أفضل⁽⁴⁾.

وقد تستمر الإجراءات «غير العادية» التي تتخذها المؤسسات الحكومية في مواجهة الإنذار الوبائي في المستقبل، خاصة تلك المتعلقة بالمراقبة الإلكترونية والسيطرة الحيوية. ان حكومات مثل غوغل، فيسبوك، أو آبل، ربما تستغل خوفنا الحالي لتقودنا إلى إفشاء الكثير من أسرارنا الحميمة. وبعد كل شيء، يمكن أن يقولوا لنا: أثناء الوباء، ومن أجل إنقاذ الأرواح، وافقتم دون احتجاج، وبالمطلق على تقييد الحريات الأخرى...

(1) Siehe Ignacio Ramonet, El Imperio de la Vigilancia, Clave intelectual, Madrid, 2016.

(2) La Vanguardia, Barcelona, 11. Februar 2020.

(3) El País, Madrid, 4. Juni 2015.

(4) تم اقتراح إجراءات للنظافة لأول مرة من قبل الطبيب المجري إغناسيو سيميلويس في عام 1847

الجزء الثاني

الصابون وما كينة الخياطة

لا شك في أن موقع الهاتف المحمول وتبعه، إلى جانب استخدام خوارزميات التنبؤ والتطبيقات الرقمية المتطورة والدراسة الالكترونية لنماذج إحصائية موثوقة للغاية، قد ساهمت الى حد ما في السيطرة على العدوى. لكن من الصحيح أيضًا أن هذا التوظيف الهائل للتكنولوجيا المستقبلية، بغض النظر عما يقوله بيونغ تشول هان باحث ومثقف كوري - الماني - المترجم)، لم يكن كافيًا أو حاسمًا لمكافحة انتشار الوباء. ولا حتى في كوريا الجنوبية أو الصين أو تايوان أو هونج كونج أو فيتنام أو سنغافورة.

يُفسّر النجاح النسبي لهذه البلدان في مواجهة كوفيد 19 اساسا بالاستناد الى الخبرة المكتسبة بين عامي 2003 - 2018 في معركتها الطويلة ضد الوباءين السابقين السارس وميرس، اللذين سببتهما أيضًا فيروسات كورونا. كان السارس - أول فيروس قاتل ناتج عن العولمة المفرطة - انتقل إلى البشر من الزباد، وهو حيوان ثديي آخر يباع في الأسواق في الصين. وانتشر هذا الكائن الدقيق في جميع أنحاء العالم من خلال الرحلات الجوية التجارية المعولمة ووصل إلى حوالي 30 دولة. خلال فترة انتشار الوباء - الذي لم يكن هناك لقاح أو علاج له - تم تأكيد إصابة حوالي 10 آلاف شخص وتوفي قرابة 800 شخص⁽¹⁾. وفي عام 2012، عندما كانت هذه البلدان تتعامل مع وباء السارس، ظهر ميرس على السطح بسبب نوع آخر من فايروس كورونا انتقل من الجمال إلى البشر في الشرق الأوسط.

(1) La Vanguardia, Barcelona, 11. Februar 2020

لم يصل أي من هذين الوباءين إلى أوروبا أو الولايات المتحدة. وهذا ما يفسر جزئيًا سبب تأخر استجابة الحكومات الأوروبية والأمريكية، وبشكل سيئ للوباء الحالي. كانوا يفتقرون إلى الخبرة، بينما عانت الصين وتايوان وهونغ كونغ وسنغافورة وفيتنام من تفشي السارس المروع، كما واجهت كوريا الجنوبية تفشيًا خطيرًا لوباء ميرس في عام 2015⁽¹⁾

في حالة الضرورة القصوى وبدون أي مساعدة من البلدان الغربية، بدأت هذه الدول الآسيوية على الفور في تجربة التقنيات الرقمية لوقف انتشار العدوى. لقد استخدموا قوانين الصحة العامة السابقة التي يعرفها علماء الأوبئة جيدًا، وكما قلت، تم استخدامها بشكل فعال منذ العصور الوسطى في مواجهة العديد من الأوبئة. منذ القرن الرابع عشر، كانت هناك تدابير مثل الحجر الصحي والعزل الاجتماعي والمناطق المحظورة وإغلاق الحدود وحواجز الطرق، مسافات الأمان وتتبع الاتصال لكل شخص مصاب، تطبق على الفور دون اللجوء إلى التقنيات الرقمية، واعتمدت السلطات على قناعة بسيطة للغاية: إذا كان جميع السكان، وعلى نحو ساحر، سيقفون في أماكنهم لمدة أسبوعين، وعلى بعد متر ونصف، سيتوقف الوباء بأكمله على الفور.

منذ ذلك الحين، انتشر استخدام الأقمعة في جميع أنحاء آسيا. وتم بناء عشرات المصانع المتخصصة في الإنتاج الضخم للأقنعة الواقية، وأصبح فحص الحمى باستخدام مقاييس الحرارة الرقمية بالأشعة تحت الحمراء على شكل مسدس أمرًا روتينيًا. في مدن البلدان الآسيوية المتضررة. وكان من المعتاد منذ عام 2003 التحقق من ارتفاع درجة الحرارة قبل دخول الحافلة أو القطار أو محطة مترو الأنفاق أو مبنى المكاتب أو المصنع أو المرقص أو المسرح أو السينما أو حتى المطاعم. وأصبح

(1) El País, Madrid, 4. Juni 2015

غسل اليدين بالماء المكلور⁽¹⁾ أو الصابون واجبًا أيضًا. في المستشفيات. وكما كان الحال في القرن التاسع عشر، تم تقسيم المناطق إلى مناطق «نظيفة» و «قذرة»، ولم تنتقل الفرق الطبية من منطقة إلى أخرى. وتم بناء حواجز لفصل أجنحة كاملة عن بعضها البعض؛ ودخل افراد الطاقم الصحي الغرفة من أحد طرفيها وهم يرتدون بدلات واقية، وغادروا الغرفة، تحت إشراف فريق التعفير في الطرف الآخر. لذلك شهدت منطقة شرق آسيا لأول مرة ما نشهده الآن على مستوى الكوكب. وليس من قبيل المصادفة أن بعضًا من أفضل أفلام ما بعد نهاية العالم حول موضوع العدوى السريعة قد تم إنتاجها هناك، خاصة في كوريا الجنوبية: فايروس (2013) لكيم سونغ سوس وترين تو بوسان (2016) ليون سانغو.

تعلمت حكومات هذه البلدان من التعامل مع وبائي سارس وميرس تخزين كميات هائلة من المعدات الوقائية (الأقنعة، واقيات الوجه، والقفازات، والخوذات، ومواد التعفير، والملابس الواقية، وما إلى ذلك) كإجراء احترازي. كانوا يعلمون أنه في حال انتشار وباء جديد عليهم التصرف بسرعة وبقوة⁽²⁾. لقد فعلوا ذلك في كانون الثاني عندما بدأ انتشار كورونا. فرضت الصين بسرعة حجرًا صحيًا صارمًا. وتم عزل المصابين والمختلطين معهم في مناطق مغلقة بإحكام. لم تفعل كوريا الجنوبية واليابان ذلك، لكنهما فرضتا مسافة أمان وارتداء أقنعة صحية. وضاعفتا بشكل كبير الفحوصات الضرورية.

كانت فيتنام نموذجًا يحتذى به في جنوب شرق آسيا. وهي واحدة من الدول التي تصرف بشكل أسرع وأكثر حسما ضد السارس في

(1) إجراء للنظافة اقترحه لأول مرة في عام 1847 الطبيب المجري إغناسيو سيمبليوس

(2) South China Morning Post, Hong Kong, 22. März 2020

عام 2003. وتعلمت الدرس جيداً. عندما بدأ الوباء الحالي بالانتشار في المنطقة، وبعد إصابة 6 مواطنين فقط، طبقت السلطات في هانوي على الفور أشد إجراءات الاحتواء والعزل صرامة، وأعلنوا في شباط 2020 عن احتواء الوباء⁽¹⁾. كانت فيتنام أول دولة في العالم تهزم فايروس كورونا الجديد.⁽²⁾ لقد شفي جميع المصابين. ولم تشهد البلاد حالة وفاة واحدة.

كل هذا يدل على أن تقنيات تحديد المواقع والتعرف الرقمي، على الرغم من أهميتها، ليست كافية لاحتواء فيروس كورونا. بالإضافة إلى ذلك، فإن الاستخدام الواسع النطاق لأقنعة النظافة يمنع الاستخدام الفعال الأنظمة البيومترية للتعرف على الوجوه. ومنذ الأسابيع الأولى، وجدت الصين وكوريا الجنوبية وهونغ كونغ وتايوان وسنغافورة أن نظام المراقبة الحيوية بكاميرات الفيديو كان غير فعال بسبب الاستخدام المكثف للأقنعة والنظارات.

بعبارة أخرى، فإن التفوق التكنولوجي المذهل الذي تفاخرنا به كثيراً، من خلال الهواتف الذكية المتطورة، والطائرات المستقبلية المسيرة، وروبوتات الخيال العلمي، والتقنيات الحيوية المتطورة، كما قلنا، لم تفعل الكثير لإحداث التأثير الأولي لاحتواء فيضان الوباء.

لثلاثة اغراض ملحة للغاية - تطهير اليدين، وصنع الأقنعة، ووقف انتشار الفيروس - كان على البشرية اللجوء إلى المنتجات والتقنيات التي تعود إلى قرون. الصابون الذي اكتشفه الرومان قبل عصر حساب

(1) لكن هذا الانتصار يظهر أيضاً ما يمكن أن يحدث للبلدان الأخرى من الآن فصاعداً. في 13 نيسان 2020 أعلنت السلطات عن وجود 265 حالة جديدة دخلت البلاد عن طريق الملاحظة الجوية

(2) <https://chaohanoi.com/202004/03//why-vietnam-has-been-the-number-one-country-in-the-world-on-coronavirus/>

الزمن. آلة الخياطة التي اخترعها توماس سانت في لندن حوالي عام 1790؛ وفوق كل ذلك، استخدام حظر التجول والعزلة الاجتماعية، اللذين تم تطويع استخدامهما في أوروبا منذ القرن الخامس ضد العشرات من موجات الطاعون المتتالية⁽¹⁾ يا له من درس في التواضع!

(1) Vicente G. Olaya, « Escenas de una pandemia de hace 1 500 años que se repiten hoy », El País, Madrid, 11 abril 2020.

التضحية بـ « كبار السن »

وكانت هذه أوقات انعدام التضامن. لقد تجلت الأنانية القومية بسرعة مذهلة ووحشية. لم تتردد الدول المجاورة والصديقة في بدء «حرب الأقمعة»⁽¹⁾ أو، ممارسة القرصنة للحصول على معدات طبية مخصصة لشركائهم.

لقد رأينا حكومات تدفع ضعف أو ثلاثة أضعاف سعر الأجهزة الطبية للحصول عليها ومنع بيعها إلى بلدان أخرى.

وأوضحت وسائل الإعلام كيف تم انتزاع حاويات الأقمعة الواقية من طائرات الشحن على مدارج المطارات لتحويلها إلى وجهات أخرى. واتهمت إيطاليا جمهورية التشيك بسرقة شحنات الأقمعة المشتراة من الصين والتي هبطت في براغ. وشجبت فرنسا سلوك الولايات المتحدة لتصرف مماثل. واتهمت إسبانيا فرنسا، وأبلغ المصنعون الآسيويون حكومات افريقيا وأمريكا اللاتينية أنهم لا يستطيعون بيعهم أجهزة طبية في الوقت الحالي لأن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي كانوا يدفعون أسعاراً أعلى⁽²⁾.

وفي الحياة اليومية، ازداد الشك والريبة. وتعرض العديد من الأجانب أو الغرباء أو ببساطة كبار السن والمرضى⁽³⁾ الذين يُشبهه بحملهم الفايروس للتمييز والاضطهاد والرجم والتهجير. صحيح أن

(1) El País, Madrid, 2. April 2020.

(2) Clarín, Buenos Aires, 10. April 2020

(3) Siehe, «Unos 50 vecinos de La Línea de la Concepción apedrean un convoy de ancianos enfermos por coronavirus », La Vanguardia, Barcelona, 25. März 2020

كبار السن هم المجموعة التي قدمت أعلى معدل وفيات⁽¹⁾. نحن لا نعرف لماذا؟ لقد دعا بعض المتعصبين الليبراليين المتطرفين بلا هوادة إلى القضاء على الأضعف.

أعلن نائب حاكم ولاية أمريكية: «على الأجداد أن يضحوا بأنفسهم ويموتوا لإنقاذ الاقتصاد»⁽²⁾. وبنفس الطريقة المدمرة، دعا المحلل الليبرالي الجديد في قناة سي بي ان سي الأمريكية ريك سانتيلي إلى «الداروينية الصحية» ودعا إلى «تطعيم جميع السكان بالفايروس (أي اعتماد مناعة القطيع - المترجم). وان ذلك سيؤدي فقط إلى تسريع العملية الحتمية، لكن الأسواق ستستقر»⁽³⁾

وفي هولندا دعا رئيس الوزراء الليبرالي المتطرف مارك روته أيضًا إلى «مناعة القطيع»⁽⁴⁾، وصرح رئيس قسم علم الأوبئة في المركز الطبي بجامعة لايدن، فريتس روزندال، أن «الأشخاص المسنين جدًا أو الضعفاء جدًا لا ينبغي ادخالهم ردهات العناية المركزة»⁽⁵⁾

هذه تهديدات سخيفة، كما تؤكد إحدى الممرضات: كورونا المستجد قاتل. ويمكنني القول إنه لا يختلف باختلاف العمر واللون والحجم. وكذلك ليس على أساس الأصل والموقع الاجتماعي. وليس على أساس أي شيء. وسيهاجم الفايروس الجميع»⁽⁶⁾

(1) In Spanien sind 86 Prozent der Verstorbenen älter als 70 Jahre. RTVE, Madrid, 14 abril 2020

(2) Dan Patrick, Vizegouverneur von Texas. El Mundo, Madrid, 24.März 2020

(3) Maurizio Lazzarato, « ¡Es el capitalismo, estúpido! », El Salto, Madrid, 11.April 2020

(4) https://www.clarin.com/mundo/coronavirus-holanda-ancianos-debiles-hospitalizados_0_BV-kOz__z.html

(5) <https://okdiario.com/salud/coronavirus-holanda-no-hospitaliza-ancianos-ni-debiles-5372513>

(6) BBC News Mundo, Londres, 11.April 2020.

صحيح ان الوباء لا يفرق بين هذا وذاك، لكن المجتمعات غير المتكافئة تمارس التفرقة. إذا كانت الصحة سلعة، فإن الفئات الاجتماعية الفقيرة والمستبعدة والمهمشة والمستغلة تكون أكثر عرضة للإصابة.

هذا هو الحال في سنغافورة مثلا، حيث - كما رأينا - تمكنت السلطات في البداية من السيطرة على الوباء. ولكن هناك في هذه الدولة المدنية الفخمة أقلية من مئات الآلاف من المهاجرين من البلدان الفقيرة يعملون في قطاعات البناء والنقل والأعمال المنزلية والخدمات

تعتمد هذه البلاد على هؤلاء العمال لتسيير اقتصادها. لكن العزلة الجسدية تكاد تكون مستحيلة أثناء هذه الأنشطة. وبسبب وضعهم الاجتماعي، اضطر العديد من هؤلاء المهاجرين إلى مواصلة عملهم على الرغم من خطر الإصابة. ومن ناحية أخرى، ينص القانون على أن العمال الأجانب يجب أن يعيشوا في «قاعات». يمكن لهذه الغرف أن تستوعب ما يصل إلى عشرة رجال، مع مطبخ وحمام مشترك. لقد تحولت هذه الأماكن إلى مصادر حتمية للعدوى. وانتشر الفيروس في هذه المراكز. ومن الثابت أن حوالي 500 إصابة جديدة قد بدأت هناك. وشكلت «قاعة» واحدة 15 في المائة من جميع الحالات الجديدة في البلاد. لقد كانت سنغافورة، «المثال» لبلد تغلب على الوباء، وتواجه الآن انتعاشاً خطيراً لحيوية الفيروس، الذي كشف عن إخفاء التفاوتات في المجتمع.

ما حدث في «قاعات النوم» في سنغافورة يعطي فكرة عما يمكن أن يحدث في جنوب شرق آسيا، والهند، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية، والبلدان ذات الموارد القليلة وأنظمة الصحة المتخلفة. إذا كان الفيروس

قد تسبب في خسائر فادحة نعرفها في البلدان الغنية - إيطاليا وفرنسا وإسبانيا - فماذا سيحدث في بعض المناطق الفقيرة في إفريقيا؟ كيف يمكننا التحدث عن «الحجر الصحي» أو «العزل» أو «المادة المعقمة» أو «مسافة الأمان» أو حتى «غسل اليدين» لملايين من الناس المحشورين في أحياء فقيرة، في مستوطنات الثكنات أو أكواخ الصفيح، في شوارع دون مجاري صحية، أو الذين يعيشون في مخيمات مؤقتة أو في أنقاض المباني التي دمرتها الحروب؟ في أمريكا اللاتينية وحدها، يعمل 56 في المائة من السكان في الاقتصاد غير الرسمي، غير المسجل قانوناً، وبلا ضمانات.

الولايات المتحدة، القوة العظمى في العالم، تخلت للمرة الأولى في تاريخها عن قيادة النضال من أجل الصحة ومساعدة مرضى العالم. في بلد على درجة عالية من الثراء، كشف الفايروس عن التفاوتات الصحية المفترقة. واكتشف السكان نقص الموارد الأساسية وكذلك أوجه القصور في أنظمة الصحة العامة الخاصة. لطالما دعا السناتور بيرني ساندرز إلى «اعتبار النظام الصحي حقاً أساسياً من حقوق الإنسان». وتدعو العديد من الشخصيات الأخرى إلى هذا التغيير: قال الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد روبرت جيه شيلر «نحن بحاجة إلى اقتصاد رعاية جديد، يدمج أنظمة الصحة الوطنية العامة والخاصة».⁽¹⁾

وحتى الآن، تسبب الوباء في موت عشرات الآلاف في هذا البلد. ويمكن أن يزداد الوضع سوءاً لأن قرابة 27 مليون شخص (8.5 في المائة من السكان) لا يملكون تأميناً صحياً و11 مليون آخرين عمال غير شرعيين لا يحملون وثائق ولا يجرؤون على الذهاب إلى المستشفيات.

في بؤرة الوباء العالمية اليوم، يرى المحللون «اتساع الفجوة في الرعاية الصحية». في الواقع، بعض الأقليات العرقية - الأمريكية من

(1) El País, Madrid, 12 abril 2020

أصل أفريقي، ومن أصل لاتيني - لديهم معدل وفيات بفايروس كورونا أعلى بكثير من نسبتهم الى مجموع السكان. في نيويورك، على سبيل المثال، يشكل الأمريكيون من أصل أفريقي ولاتيني 51 في المائة من السكان، وتبلغ نسبة الوفيات التي يسببها الوباء ب بينهم 62 في المائة. وفي ميشيغان، يشكل الأمريكيون الأفارقة 14 في المائة ونسبة المصابين بينهم 33 في المائة والوفيات بلغت 41 في المائة. وفي شيكاغو، يشكل الأمريكيون من أصل أفريقي 30 في المائة من السكان، ونسبة الوفيات بينهم بلغت 72 في المائة. قال لوري لايتفوت، عمدة شيكاغو: «هذه الأرقام تجعلك تحبس أنفاسك».⁽¹⁾

في بلد يكلف فيه فحص فايروس كورونا الجديد 3500 دولاراً⁽²⁾، غالباً ما تعكس الصحة صورة لعدم المساواة الاجتماعية. ان الرأسمالية المتوحشة لا تهتم بألم الفقراء. إذا كان الأمريكيون اللاتينيون والأفارقة في الولايات المتحدة أكثر عرضة للإصابة بفايروس كورونا، فذلك لأنهم ضحايا لسلسلة من الحرمانات الاجتماعية. والأقليات هي غالباً ما تعاني أيضاً، من مجموعة من الأمراض الخطيرة بسبب شحة الخدمات الصحية المقدمة لها تاريخياً، قال الدكتور أنتوني فوسي، مدير المعهد القومي الأمريكي للحساسية والأمراض المعدية: «علمنا دوماً، إن أمراض مثل السكري وارتفاع ضغط الدم والسمنة والربو تؤثر بقوة وبشكل غير متناسب على الأقليات، وخصوصاً الأمريكيين من أصل أفريقي»⁽³⁾

وعلى الرغم من كارثة كورونا، يطالب بعض ارباب العمل العمال بالعودة إلى العمل من أجل إنقاذ الاقتصاد. لذلك يجب على الأمريكيين اللاتينيين والأفارقة الاستمرار في العمل في الشوارع للقيام بأصعب

(1) The New York Times, 6. April 2020

(2) La Vanguardia, Barcelona, 26. März 2020

(3) Cubadebate, La Habana, 8. April 2020.

الأعمال، وتنظيف المباني، وقيادة الحافلات، وتعقيم المستشفيات، والعمل في الأسواق والمراكز التجارية، وقيادة سيارات الأجرة، وإيصال الطرود، وما إلى ذلك، هذا فضلا عن مخاطر العدوى في أحيائهم الفقيرة، وفي المواصلات العامة وفي العمل. أما بالنسبة للمهاجرين غير الشرعيين وغير المسجلين، الذين يتعرضون للمضايقات من قبل السلطات، فهم لا يذهبون للاستفادة من الخدمات الصحية خوفا من الاعتقال.

في كل يوم يمر من أيام الوباء، تزداد قناعة الناس بأن الدولة وليست السوق هي المنقذ. يؤكد نعوم تشومسكي أن «هذه الأزمة هي المثال الألف لفشل السوق. وأيضًا مثال على خطر وقوع كارثة بيئية. لقد ترك الهجوم الليبرالي الجديد للمستشفيات بدون موارد. وقد تم تقليص أسرة المستشفيات بحجة «الكفاءة الاقتصادية». لقد علمت حكومة الولايات المتحدة وشركات الأدوية متعددة الجنسية منذ سنوات بأن نسبة احتمال انتشار الوباء مرتفعة، ولكن لكون الاستعدادات غير مفيدة لتكديس الأرباح، لم يتم فعل أي شيء»⁽¹⁾.

من جانبه، يؤكد الفيلسوف الفرنسي إدغار موران: «في النهاية، تتم التضحية بالأضعف - كبار السن والمرضى - هي عملية لمنطق الانتقاء الطبيعي. وكما في عالم السوق، فإن أولئك الذين لا يستطيعون الصمود أمام المنافسة محكوم عليهم بالتساقط. إن خلق مجتمع إنساني حقيقي يعني معارضة هذه الداروينية الاجتماعية مهما كلف الثمن». الأفضل هو مفهوم مalthوسية على داروينية لان مالثوس هو من دعا الى الى استخدام الحروب لتقليل السكان اما داروين فقد تحدث عن ظاهرة طبيعية تحدث بين الكائنات الحية - المترجم

(1) Il Manifesto, Roma, 18 marzo 2020

أبطال عصرنا

للوباء أيضًا شهداؤه وإبطاله. وفي هذه المعركة، أصبح المحاربون الذين وقفوا في الخطوط الأمامية، لمواجهة وباء كورونا المميت - الأطباء والممرضات والمساعدون وغيرهم من العاملين في قطاع الصحة، أبطالاً لا إراديين، يحظون بالثناء والتصفيق من الشرفات وفي ساحات وشوارع مدن العالم. جميعهم تقريبًا موظفون حكوميون، ولا تعد صحة السكان بالنسبة لهم سلعة، بل حاجة أساسية، وحق من حقوق الإنسان.

وسيدخلون التاريخ منهكين ومستنفذي القوى، بسبب مساهمتهم في العمل اليومي لمكافحة العدوى، وانقاذ الأرواح. لقد واجهوا في أحيان كثيرة الفايروس المعدني بدون أقنعة، معدات أو بدلات واقية. «نحن ذاهبون إلى الحرب بدون أسلحة!» اشتكيت ممرضة مخضمة من الإكوادور، معبرة عن غضبها لإصابة 80 من زملائها وموت 5 آخرين.⁽¹⁾

يخاطر العاملون الصحيون في الواقع بحياتهم. وفقًا لمركز مكافحة الأمراض في الولايات المتحدة، فإن 10 - 20 في المائة من المصابين بالفايروس يعملون في القطاع الصحي. والكثير منهم يصارعون الموت. وفي يوم من الأيام، عندما ينتهي هذا الكابوس، سنقيم نصبًا تذكارية تكريمًا لهؤلاء الشهداء ذوي البدلات البيضاء. لنخلد شجاعتهم ونكرانهم لذواتهم وإنسانيتهم. عندما قال ألبيير كامو إن «الطاعون يعلمنا أن هناك أشياء في الناس تستحق الإعجاب أكثر من الاحتقار»⁽²⁾ كان يعنيههم.

(1) France 24, Paris, 15.April 2020. <https://www.france24.com/es/20200415-el-personal-sanitario-encarna-el-hero%C3%ADsmo-contra-el-coronavirus>

(2) Albert Camus, La Peste (1947), übersetzt ins spanische von Rosa Chacel, Vorwort von José Manuel Caballero Bonald, Unidad Editorial, Madrid, 1999.

في هذا السياق، تميزت دولة صغيرة، مثيرة للإعجاب بإيثارها وكرمها. إنها كوبا المحاصرة، منذ 60 عاما من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تتعرض لإجراءات اكراه وحشي أحادية الجانب، والتي كانت اول دولة قدمت المساعدة للصين. ومنذ ذلك الحين، لم تتوقف السلطات الكوبية عن إرسال ألوية من الأطباء والطواقم الصحية لمكافحة كورونا في قرابة 20 دولة⁽¹⁾، بما في ذلك ثلاث من دول أوروبا الغنية: إيطاليا وفرنسا وأندورا.⁽²⁾ استجابة لمطالبات حكومات هذه البلدان اليائسة.

كانت الوية الأطباء الأممية المتخصصة في مواجهة الكوارث والأوبئة المدمرة معروفة منذ الستينيات. وعندما ضرب إعصار كاترينا جنوب الولايات المتحدة في عام 2005، أطلقوا عليها اسم «هنري ريف»، وهو عميد أمريكي حارب ومات من أجل استقلال كوبا⁽³⁾.

أدرك العالم ما حاولت وسائل الإعلام الدولية الرئيسية إخفاءه حتى الآن، ألا وهو أن كوبا قوة طبية عظيمة⁽⁴⁾ تملك أكثر من 30 ألف طبيب وممرض في 66 بلدا⁽⁵⁾.

(1) بما في ذلك: أندورا، إيطاليا (لواءان في لومبارديا وبيدمونت)، فرنسا (في جوادلوب، مارتينيك وغيانا الفرنسية)، قطر، أنغولا، توغو، أنتيغوا وبربودا، باربادوس، بليس، دومينيكا، غرناطة، غيانا، هايتي، هندوراس، جامايكا، المكسيك، نيكاراغوا، سان كريستوبال ونيفيس، سانتا لوسيا، سان فيسينتي والغراندين، سورينام وفنزويلا

(2) Tom O'Connor, « Cuba Uses 'Wonder Drug' to Fight Coronavirus Around World Despite U.S. Sanctions », Newsweek, 24. März 2020.

(3) Hernando Calvo Ospina, «Une Internationale... de la santé», Le Monde diplomatique, Paris, August 2006.

(4) يوجد في كوبا حوالي 100 ألف طبيب في الخدمة، أي ما يعادل 9 أطباء لكل ألف مواطن، وهو أعلى رقم في العالم (ألمانيا وإسبانيا وسويسرا، على سبيل المثال، لديها 4/1000 ؛ الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وفرنسا لديها 3/1000).

(5) El País, Madrid, 22.März 2020

وبأني ذلك تطبيقاً لشعار ورؤية إنسانية لـ فيدل كاسترو، والذي عبر عنه بهذه الكلمات: «ذات يوم قلت إنه لا يمكننا ولن نقوم أبداً بشن هجمات وقائية ومفاجئة على أي ركن مظلم في العالم؛ لكن بدلاً من ذلك بلدنا قادرة على إرسال الأطباء اللازمين إلى أكثر بقاع العالم ظلاماً. أطباء وليس قنابل، أطباء وليس أسلحة ذكية..⁽¹⁾ بالإضافة إلى ذلك تقدم هافانا أيضاً دواءها المضاد للفيروسات Interferon Alpha-2B Recombinante، الذي طوره علماءها في مختبرات التكنولوجيا الحيوية في الجزيرة والذي يستخدم إلى منع تفاقم مضاعفات المرضى المصابين بفيروس كورونا الجديد.

(1) Fragmente einer Rede von Fidel Castro in Buenos Aires im Mai 2003.», Granma, La Habana, 3. Mai 2020.

ذروة التضليل

وسائل الإعلام الكبيرة تصمت بشأن تضامن كوبا الطبي، وتقدم في الوقت نفسه تغطية شاملة ودائمة للوباء، بشكل غير مسبوق، ومنذ أشهر، تحدثت إلينا أهم وسائل الإعلام في الكوكب بأسره دون التوقف عن موضوع واحد، هو فايروس كورونا. لم يشهد العالم من قبل ظاهرة افراط الجوقة الإعلامية⁽¹⁾، عندما سقط جدار برلين، ولا حتى عندما حدثت هجمات 11 أيلول في نيويورك.

في الوقت نفسه، نشهد حربًا مريرة بين مراكز مختلفة لفرض رواية مهيمنة لهذه الأزمة⁽²⁾. هذا أدى إلى وباء صارخ من الأخبار المزيفة والحقائق. وقد عرفت منظمة الصحة العالمية هذه الظاهرة بأنها وباء معلومات، وباء معلومات مزورة. ان الخوف من كورونا وكذلك الرغبة في الحصول على الكثير من المعلومات والرغبة في فهم كل شيء عن الوباء خلق ظروفًا لعاصفة حقيقية من الأخبار السامة. وانتشرت هذه الاخبار بسرعة انتشار الفايروس أو بسرعة أكبر منها. وتم تداول جبال من الخدع على الشبكات الاجتماعية. وأصبحت أنظمة الرسائل المحمولة مواقع إنتاج حقيقية للأكاذيب والاحتيال والخداع المتواصل. وتشير التقديرات في بعض البلدان، إلى أن 88 بالمائة من الأشخاص الذين حصلوا على معلومات من شبكات التواصل الاجتماعي أصيبوا بالوباء نتيجة التعامل مع أخبار مزيفة⁽³⁾.

(1) José Natanson, « Coronavirus e hipertelevisión », Página 12, Buenos Aires, 28.März 2020

(2) Fernando Buen Abad, « Semiótica de la pandemia », Granma, La Habana, 26.März 2020

(3) https://www.dgcs.unam.mx/boletin/bdboletin/2020_318.html

ومن المعروف أن الأخبار الكاذبة تنتقل عشر مرات أسرع من الاخبار الصحيحة؛ وحتى لو كذبت، فإنها تبقى على الشبكات الاجتماعية، لان نشرها يستمر بدون أية رقابة.

ويتم تحرير العديد منهما باحترافية رائعة: نصوص لا تشوبها شائبة، ومعدلة تمامًا، ومستوحاة من أكثر الوسائط احترامًا، وصور دقيقة للغاية، وجودة صوت عالية، وتعليق بصوت رنان ومعتدل، وموسيقى خادعة، ومونتاج يثير الإدمان. كل شيء يجب أن يعطي انطباعًا بالجدية، والجدارة بالثقة، لضمان المصدقية، وهو أمر لا غنى عنه لتمرير الخدعة. وليسمح لها المستخدمون بالانتشار السريع.

وينبغي ألا ننسى أنه خلال الحجر الصحي المفتوح، وفي سياق من عدم اليقين والمشاعر المتصاعدة، وفي مواجهة حاجة الجميع الحقيقية لفهم الوباء وادراكه بالبراهين، لعب عاملان متناسقان دورا بتغذية التأثير القوي للكاذب. من ناحية، الألفة والثقة بين الأشخاص الذين يتبادلون المعلومات عبر نفس الشبكة. ومن ناحية أخرى، تكرار مستمر للرسائل بنمط متماثل.

إذا أرسل لي شخص أعرفه معلومات وحصلت على نفس المعلومات أو إصدارات مشابهة جدًا من خلال قنوات أخرى مختلفة، فسأعتقد أنها قابلة للتصديق وصحيحة. لأنني أثق بالمصدر ولأن مصادر أخرى توافق عليه وتؤكدده. سأستنتج غريزيًا أن هاتين الآليتين (التقارب والتكرار) تحققان صحة المعلومات. وعلى الرغم من ذلك، يمكن أن تكون خاطئة. بمعنى آخر، ان كل خبر مزور سيحاول تلبية هذين الشرطين من أجل إخفاء زيفه بأفضل الأشكال. هذا هو قانون تسميم وسائل الإعلام: أي ان التلاعب بالرأي العام بواسطة أخبار كاذبة يجب أن يلتزم بهذه الشروط.

من المستحيل اعداد قائمة شاملة بالأخبار المزيفة التي غمرت شبكاتنا منذ بداية الوباء، لكن يجب أن نتذكر أن نظريات المؤامرة المختلفة بدأت تنتشر على الفور تقريبًا. وكما ذكرنا سابقًا، ان المزاعم الأكثر انتشارًا، تقول ان فايروس كورونا المستجد تم تطويره في مختبر سري في الصين أو الولايات المتحدة الأمريكية، وأنه سلاح جرثومي للحرب بين القوتين العظميين. وقالت اخبار سخيصة أخرى، بان كورونا من صنع بيل غيتس، او انه صنع في الصين، لإبادة الأقليات العرقية فيها. أو أن الوباء انتشر بسرعة كبيرة لأن الفايروس انتقل مع البضائع المصدرة من الصين، أو أن شركات الأدوية نشرته لتبيح اللقاح المضاد له لاحقًا. أو أن هوائيات جي 5 تقوي فايروس كورونا وتجعله أكثر فتكًا⁽¹⁾، أو أن الوباء مصمم لتدمير صادرات شمال إيطاليا المنافسة للصين، أو أن هناك بالفعل لقاحًا، أو أن الفايروس جرى تحويره⁽²⁾.

لا يزال الكثير من هذه الأخبار المزيفة متداولًا، يتم تكرارها إلى ما لا نهاية بواسطة الروبوتات، وملفات تعريف لآلاف الحسابات التي يديرها مستخدم واحد. الهدف هو عرض «كمية كبيرة» من الرسائل التي تدعي أن العديد من الأشخاص يشاركون أو يعلقون على الموضوع من أجل التلاعب في القناعة به. قد تبدو بعض الأخبار الكاذبة غير ضارة، لكن البعض الآخر - خاصة إذا كان يتعلق بوجود علاج سحري أو دواء سحري مضاد للفايروسات⁽³⁾ - يمكن أن يكون قاتلاً. في إيران، على سبيل المثال، نشرت الشبكات تقريرًا كاذبًا أن الميثانول

(1) <https://www.elmundo.es/tecnologia/20205/06/04/e8b67baf6c6c83372d8b4649.html>

(2) الفايروس لا يتحور: أكدت منظمة الصحة العالمية أن الفايروس سيحافظ على هيكله مستقر. وترتبط الاختلافات في الأعراض لدى المصابين بالأمراض السابقة لديهم وتفاعل الفايروس معها. انظر 18. März 2020. Juventud Rebelde, Havanna.

(3) «Bulos y falsos remedios para 'prevenir y curar' el coronavirus», El Periódico, Barcelona, 17. März 2020.

يمنع ويعالج كورونا المستجد. النتيجة: توفي 44 شخصًا وتم نقل مئات الضحايا إلى المستشفى بسبب تناول كحول الميثيلي⁽¹⁾.

ومع الذعر العام الذي أشعله الوباء وبحث الملايين من الناس بشدة عن معطيات تتعلق بفيروس كورونا غير المعروف، وجدت «فقااعات المعلومات المضللة» نظامًا بيئيًا مثاليًا لمضاعفة الإعلانات المستمرة. وأصبح كل شيء أسهل، عندما غيرت شركات الشبكات الاجتماعية الكبرى في عام 2016 التسلسل الهرمي للرسائل. وأعطت الأولوية للرسائل الواردة من الأصدقاء والمعارف على حساب الرسائل الواردة من المنظمات أو وسائل الإعلام.

على أية حال، لم يعد بإمكاننا أن نبقى ساذحين. ونصدق ببراءة كل ما يأتي إلينا عبر شبكات التواصل الاجتماعي. في هذا السياق يعتبر زخم فايروس كورونا نقطة تحول أيضًا. نظرًا لكم الهائل من التقارير الخاطئة، ومن الآن فصاعدًا، يجب أن يكون كل مواطن على دراية بمنصات التحقق المختلفة المتاحة لنا مجانًا، على سبيل المثال: Maldita.es و Newtral.es في إسبانيا و FactCheck.org و NewsGuard و PolitiFact.com في الولايات المتحدة؛ أو تحالف #CoronavirusFacts، الذي ترعاه الشبكة الدولية لتقصي الحقائق (IFCN) التابعة لمعهد بوينتر⁽²⁾، والتي تضم أكثر من 100 منصة تحقق في 70 دولة و40 لغة⁽³⁾؛ أو LatamChequea، والتي تضم قرابة 20 وسيلة إعلامية من 15 دولة في أمريكا اللاتينية.

(1) Es gibt ein Sterberisiko von zwischen 12 und 36 Stunden nach der Einnahme von Metanol.

(2) https://es.qwe.wiki/wiki/Poynter_Institute

(3) <https://semanariouniversidad.com/pais/infodemia-la-pandemia-de-noticias-falsas-sobre-covid-19-tambien-cobra-vidas/>

بالإضافة إلى ذلك، هناك العديد من الأدوات المجانية على شبكة الإنترنت للتحقق من أصالة الصور المنشورة على لشبكات التواصل الاجتماعي، على سبيل المثال: TinEye، Google Reverse Image، FotoForensics، Search، والتي تسمح بإجراء اختبارات مهمة، مثل معرفة المصدر الأصلي للصورة، وهل سبق نشرها، وفي اية وسائل الإعلام الأخرى، وهل تم التلاعب، وهل تم تنقيح الأصل.

ولتعقب مقاطع الفيديو المزيفة المنتشرة على نطاق واسع، يمكننا استخدام InVid، المتاح لمُتصفحِي Google Chrome و Mozilla Firefox والذي يمكننا من خلاله فك تشفير مقاطع الفيديو⁽¹⁾ التي تم التلاعب بها. ويمكننا أيضًا تعقب مقاطع الفيديو الوهمية على الإنترنت على موقع Reverso - وهو مشروع مشترك من قبل Check⁽²⁾ و AFP Factual⁽³⁾ و First Draft⁽⁴⁾ و Newsroom⁽⁵⁾ و Pop-Up⁽⁶⁾. لم يعد هناك عذر للاشتباه، فعلى الأقل، وبقدر تعلق الأمر بهذه القضية، فإن الوباء قد خدمنا جيدًا.

(1) https://compromiso.atresmedia.com/levanta-la-cabeza/buenas-practicas/herramientas-detectar-fake-news_202001245e2a8b020cf20ef4411cffec.html

(2) <https://chequeado.com/tag/falso-en-las-redes/>

(3) <https://factual.afp.com/>

(4) <https://firstdraftnews.org/>

(5) <https://popup.news/>

(6) <https://www.infobae.com/politica/201913/07//fake-news-como-saber-si-una-noticia-es-verdadera-o-falsa/>

في الطريق إلى رأسمالية رقمية؟

نتيجة أخرى للتواصل: بسبب حيز أكثر من نصف البشر في شققهم لأسابيع، وصل التأليه للمنصات الرقمية إلى ذروته. لم تكن مجرة الإنترنت وعروضها المتنوعة على الشاشة، أكثر حداثة وغزواً، من حيث القدرة على التواصل، وصرف الأنظار، ونشر الذهنية التجارية. في هذا السياق أصبحت شبكات التواصل الاجتماعي ورسائل الهاتف المحمول وخدمات المدونات الصغيرة - Twitter و Mastodon⁽¹⁾ و Facebook و WhatsApp و Messenger و Instagram⁽²⁾ و Youtube و LinkedIn و Reddit و Snapchat و Amino و Signal و Telegram و Wechat و WT: Social⁽³⁾ الخ- بشكل مؤكد الوسيلة المهيمنة لنشر للمعلومات (والمعلومات المضللة). لقد أصبحت أيضاً مصدرًا واسع النطاق وسريع الانتشار، لصرف الأنظار وتشتيت الانتباه، فعلى الرغم من رعب الأزمة الصحية، فإن المزاح والضحك، كما يحدث غالباً في مثل هذه الحالات، كان الأبطال المطلقون على الشبكات الاجتماعية، والتواصل المفضل بالعالم الخارجي ومع العائلة والأصدقاء (على منوال شر البلية ما يضحك - المترجم).

(1) Rubén Velasco, «¿Cansado de Twitter? Prueba estas redes sociales alternativas», Redes Zone, 7. Januar 2018. <https://www.redeszone.net/201807/01//alternativas-twitter/>

(2) Facebook, Messenger, Whatsapp und Instagram, وفقاً لـ «AppAnnie»، فإن «التطبيقات الأربعة الأكثر تنزيلاً في العالم في السنوات العشر الماضية» تنتمي إلى مجموعة Facebook لصاحبها Mark Yuckerberg <https://www.xatakamovil.com/aplicaciones/facebook-dueno-cuatro-apps-moviles-descargadas-decada-app-annie>

(3) Así es WT: Social, la red social 'antiFacebook' sin anuncios ni fake news creada por el fundador de Wikipedia», BBC News Mundo, London, 20. November 2019.

نقضي ساعات أكثر من أي وقت مضى أمام شاشات أجهزةنا الرقمية: الهواتف المحمولة أو أجهزة الكمبيوتر أو الأجهزة اللوحية أو أجهزة التلفزيون الذكية⁽¹⁾ نستهلك كل شيء: المعلومات والمسلسلات والأفلام والأغاني والصور والعمل عن بُعد والحصول على المشورة والإجراءات الإدارية والمحاضرات الدراسية ومكالمات ومؤتمرات الفيديو والمحادثات والألعاب الإلكترونية والرسائل. لقد تضاعف الوقت الذي نقضيه يوميًا على الإنترنت بشكل غير مسبوق⁽²⁾. في إسبانيا مثلاً، زاد استخدام الإنترنت، منذ 14 آذار من العام الفائت، بنسبة 80 في المائة⁽³⁾، حال إعلان حالة التأهب والعزل الاجتماعي. وتعود هذه الزيادة الحادة أساساً إلى الاستخدام غير العادي لتقنية الفيديو، ليس عند المشاهدة فقط، بل باعتبارها وسيلة الاتصال المفضلة في مثل هذه الأوقات: مكالمات الفيديو عبر Zoom، Houseparty، Webex، WhatsApp، Skype⁽⁴⁾.

شهد تقنية Zoom، التي لم تكن منتشرة في السابق، نموًا غير مسبوق في تاريخ الإنترنت خلال الشهرين الفائتين، لقد كان تطبيق iPhone الأكثر تنزيراً منذ بدء الوباء في آذار الفائت، كانت الزيادة اليومية في حركة المرور 535 في المائة. يستخدم قادة العالم Zoom في مؤتمراتهم الخاصة؛ والشركات لتنظيم العمل عن بعد؛ وتقدم الجامعات بواسطته كورسات عبر الإنترنت؛ ويستخدمه الموسيقيون والمغنون لإنجاز نتائجهم الجماعية؛ والأصدقاء والعائلات لكي يبقوا، أثناء حظر التجوال أطول وقت ممكن سوية.

الأرقام هائلة. كان يستخدم Zoom 10 ملايين مستخدم نشط في

(1) La Vanguardia, Barcelona, 6. April 2020.

(2) El Periódico, Barcelona, 19. März 2020.

(3) Cable Europapress, Madrid, 21. März 2020.

(4) Die Downloads von Houseparty wuchsen während der letzten Märzwoche 2020 um das 735-fache.

نهاية عام 2019، وأكثر من 200 مليون في نهاية اذار 2020، وللحصول على فكرة عما يعنيه ذلك، دعنا نذكرك أن Instagram استغرق أكثر من ثلاث سنوات للحصول على هذا العدد من المستخدمين. وقبل انتشار فايروس كورونا، كان سعر السهم في Zoom 70 دولارًا. وفي 23 اذار، أصبح السعر 160 دولارًا، أي بقيمة إجمالية تزيد عن 44 مليار دولار. ان الفايروس عالمي، لكن آثاره ليست واحدة بالنسبة للجميع، خصوصا بالنسبة للمساهم الرئيس في Zoom، إريك يوان، الذي أصبح ضمن قائمة «الأغنى في العالم» بثروة تقدر قرابة 5.5 مليار دولار.⁽¹⁾

«الرابع» الآخر في هذه الأزمة هو تطبيق TikTok، الذي يحظى بشعبية كبيرة بين الشباب وشهد أيضًا زيادة هائلة في عدد المستخدمين. وتم تطوير TikTok بواسطة شركة التكنولوجيا الصينية ByteDance وهو تطبيق لمنديات التواصل الاجتماعي مشابه لـ Likee أو MadLipz، حيث يمكنك من خلاله تسجيل مقاطع فيديو قصيرة 15- 60 ثانية وتحريرها ومشاركتها بشكل مسلسل⁽²⁾، مع إمكانية إضافة خلفيات موسيقية، مؤثرات صوتية وفلاتر أو تأثيرات بصرية.

يهدد الحجر الصحي العالمي الاستمرار الاقتصادي لعدد لا يحصى من شركات أوقات الفراغ والنشاط الترفيهي والثقافي (المسارح والمتاحف والمكتبات ودور السينما والملاعب وقاعات الحفلات الموسيقية وما إلى ذلك) في جميع أنحاء العالم. ومن ناحية أخرى، تشهد الشركات الرقمية العملاقة مثل Google أو Amazon أو Facebook أو Netflix، التي هيمنت بالفعل على السوق، لحظة نجاح تجاري عظيمة⁽³⁾.

(1) La Vanguardia, Barcelona, 11. April 2020.

(2) Graphics Interchange Format (GIF)

(3) Seit der Pandemie hat Netflix fast 16 Millionen neue Nutzer und kommt heute auf insgesamt über 183 Millionen. El País, Madrid, 21. April 2020.

وسيسمح لها الضخ الضخم للأموال وخاصة البيانات الكلية التي يتلقونها بتطوير سيطرتها بشكل كبير على مجال الاتصالات الرقمية بقوة أكبر على نطاق عالمي⁽¹⁾.

في هذه اللحظة المأساوية في التاريخ، فإن هذه المنصات التكنولوجية العملاقة هي الرابع المطلق اقتصاديا. وهذا يؤكد أنه بعد عصر الفحم والصلب، وعصر السكك الحديدية والكهرباء، وعصر النفط، حان وقت المعلومات، السلعة الجديدة المهيمنة في حقبة ما بعد الجائحة. مرحبا بكم في الرأسمالية الرقمية.

(1) Dominique Strauss-Kahn, «L'être, l'avoir et le pouvoir dans la crise», Politique internationale, Paris, 5. April 2020.

الجزء الثالث

الاقتصاد: حمام دم

إن وضع الرأسمالية سيئ، واحتمال وقوع كارثة اقتصادية غير مسبوقة يلوح في الأفق⁽¹⁾. ولم نعش توقف اقتصاد الكوكب بأسره أبداً. والمناطق الأكثر تضرراً بوباء كورونا، في الوقت الحالي: الصين وشرق آسيا وأوروبا والولايات المتحدة، أي المثلث المركزي للتنمية الاقتصادية العالمية. وملايين الشركات، الكبيرة والصغيرة، في أزمة مغلقة، وعلى وشك الإفلاس⁽²⁾. وفقد مئات الملايين من العمال وظائفهم كلياً أو جزئياً⁽³⁾ وكما هو الحال في العديد من المناسبات السابقة، فإن العاملين ذوي الأجور الأسوأ والشركات الصغيرة سيدفعون الثمن الأعلى. ويمكن ان يرمى 500 مليون انسان في براثن الفقر⁽⁴⁾. ان هذه الأزمة الاقتصادية العالمية غير مسبوقة وستكون أعمق وأطول من أزمة عام 1929. كما أنها ستتجاوز بشدتها الأزمة المالية لعام 2008. ويخلق الوباء رفضاً عاماً لفوضوية الإفراط، الذي سمح بتفاوتات فاحشة، تجسدها حقيقة أن 1 بالمائة من أثرياء العالم يمتلكون أكثر من الـ 99 بالمائة الأخرى⁽⁵⁾. ويجري التشكيك أيضاً في نسب نمو العولمة الاقتصادية.

(1) El País, Madrid, 12. April 2020

(2) «Coronavirus: “Estamos frente a una crisis generalizada del capitalismo democrático mundial y del no democrático, como el de China”», BBC News Mundo, Londres, 30 marzo 2020.

(3) وفقاً لمنظمة العمل الدولية، فإن 2.4 مليار عامل مهددون بفقدان فرص العمل. وفقد قرابة 195 مليون وظائفهم.

Le Figaro, Paris, 7. April 2020.

(4) Siehe «Oxfam: El Covid-19 podría llevar a 500 millones de personas a la pobreza», France 24, Paris, 9. April 2020.

(5) La Vanguardia, Barcelona, 20. Januar 2020.

لقد انهارت البورصات صعوداً وهبوطاً⁽¹⁾: وصرخ سمسار إحدى شركات إدارة الأصول: «هذا حمام دم حقيقي!»⁽²⁾ نظراً للخسائر التاريخية لمستثمريه. وانخفضت أسعار النفط إلى مستويات غير معروفة⁽³⁾. في 20 أيسان، كان البرميل المرجعي لمتوسط غرب تكساس في سوق المواد الخام في شيكاغو (-37 دولاراً)، نعم، ناقص 37 دولاراً، أي ان البائع يدفع للمشتري 37 دولاراً ليستلم منه برميل نفط⁽⁴⁾. انه ركود غير مسبوق تاريخياً. وهو ممتاز للدول المستوردة: الصين، اليابان، ألمانيا، فرنسا، كوريا الجنوبية، لكنه نذير سوء بالنسبة للدول المصدرة ذات الكثافة السكانية العالية: روسيا، نيجيريا، المكسيك، فنزويلا.

وهناك نتيجة سلبية أخرى: يمكن أن يؤخر هذا النفط الرخيص التغيير البيئي الضروري لأنه يرفع تلقائياً من سعر الطاقات البديلة (الشمس، والرياح، المواد العضوية، وما إلى ذلك). الاقتصاد العالمي يدخل الآن مساحات غير معروفة⁽⁵⁾. لا أحد لديه تصور واضح عن حجم الكارثة. وكما قال هنري كيسنجر: «الأزمة الاقتصادية الحالية معقدة بشكل غير مسبوق. والانكماش الناجم عن فايروس كورونا لا يشبه أي شيء رأيناه تاريخياً بسبب سرعته العالية وتوسعه العالمي⁽⁶⁾».

اقترح الاتحاد الأوروبي في البداية، على سبيل المثال، خطة بقيمة 25 مليار يورو لمساعدة الدول الأعضاء. ثم تحدث البنك المركزي الأوروبي عن 750 مليار! (في الأشهر اللاحقة تم إقرار حزم مالية

(1) L'Express, Paris, 16. März 2020.

(2) The Wall Street Journal, New York, 27. Februar 2020.

(3) Les Echos, Paris, 6. April 2020.

(4) El País, Madrid, 21. April 2020

(5) El País, Madrid, 15. März 2020.

(6) Henry A. Kissinger: «The Coronavirus Pandemic Will Forever Alter the World Order», The Wall Street Journal, New York, 3. April 2020

أكبر - المترجم) يعطي هذا المبلغ الهائل فكرة عن مدى الارتباك. وتشير التقديرات إلى أن الناتج الإجمالي المحلي للدول المتقدمة يمكن أن ينهار بنسبة 10 في المائة، أي أكثر بكثير مما حدث في أزمة عام 1929. تحت صدمة وحشية، وبقلق مذعور، تمارس الحكومات نوعًا من «كنزية - الحرب». يجب أن تساعد الموظفين والمزارعين والأسر والشركات. وتقوم الحكومات، وعلى الفور بإطلاق مبالغ فلكية يتم ضخها في الدورة المالية لتجنب الانهيار الداخلي للنظام الاقتصادي⁽¹⁾ وكذلك لمنع الفايروس التاجي من التسبب في نهاية المطاف في فقر أكثر من الوفيات.

سيكون الثمن ما لا يمكن تصوره. صعوبات للدولة، التي ستخفض عائداتها الضريبية بشكل كبير. وسيكون العجز استثنائيا. مثلا في منطقة اليورو سيصل العجز، نهاية هذا العام، إلى 1500 مليار يورو، وفق الخبر الاقتصادي الفرنسي جاك سابير⁽²⁾. ولم يحصل في السابق ابداء في بريطانيا العظمى، التي لم تعد عضوا في الاتحاد الأوروبي، ولا في منطقة اليورو، سيحل بنك إنكلترا المشكلة ببساطة عن طريق طباعة النقود، وهذا ما لا تستطيع إيطاليا ولا إسبانيا ولا فرنسا القيام به، هذه الدول ستحتاج إلى أكبر قدر من السيولة. وهي بلدان مثقلة بالديون. ستفكر هذه البلدان الثلاثة، بشدة في مسألة مغادرة الاتحاد أو منطقة اليورو. لأن ألمانيا والنمسا وفنلندا وهولندا ترفض، منذ أسابيع، منحهم قروضًا غير مشروطة، في حين أن مشاكل النظم الصحية في إيطاليا وإسبانيا وفرنسا هي جزئيًا نتيجة مباشرة لسياسات التقشف

(1) «EE UU y Europa movilizan 6 billones de euros para combatir el impacto económico virus», Cinco Días, Madrid, 26. März 2020.

(2) <https://www.causeur.fr/jacques-sapir-coronavirus-crise-economique-euro-175682>

وخفض موازنة الخدمات العامة، التي طالب بها الشركاء الأربعة «الصارمين» في الشمال. ويجب أن نتذكر أنه قبل أن يصبح جنوب أوروبا بؤرة للوباء الحالي، كان بؤرة لسياسات التقشف الأكثر سادية بعد أزمة 2008 المالية⁽¹⁾. أزمة تؤدي إلى أخرى.

فشلت أوروبا كاتحاد حماية. ولم يتمكن النادي المشترك من الاستجابة بشكل جماعي ومتعدد الأطراف للدراما الإنسانية والاجتماعية التي ابتليت بها القارة العجوز. والناس، وخصوصا عائلات وأصدقاء الآلاف من الموتى لن ينسوا هذا. وتستنكر نعومي كلاين قائلة: «إنه نموذج اقتصادي ملطخ بالدماء، والآن بدأ الناس يفهمون ذلك، لأن المعلقين والسياسيين في التلفاز يقولون، ربما عليهم التضحية بأجسادهم، لكي ترتفع أسعار الأسهم من جديد. ويسأل الناس أنفسهم: من أي طينة نشكل هذا النظام؟⁽²⁾

في مثل هذه اللحظة المأساوية والحساسة، ومع أول انفصال في الاتحاد الأوروبي في 31 كانون الثاني الفائت (خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي)، وفي مواجهة مثل هذا التحدي الحاسم في السياسة الصحية، لم ينجح الحلم الأوروبي. وربما كانت الفرصة الأخيرة، فما هو المصير الذي ينتظر هذا الاتحاد الأوروبي؟ الذي لا يدعم شركاءه الأضعف، وسيلتهمه بعد الوباء، الشعبويون والمتطرفون اليمينيون.

انخفضت التجارة العالمية إلى المستوى الذي كانت عليه قبل قرن من الزمان⁽³⁾. وانهارت أسعار المواد الخام. وليس أسعار النفط فقط،

(1) Ignacio Ramonet, «Sadismo económico », Le Monde diplomatique en español, Valencia (Spanien), Juli 2012.

(2) <https://www.elsaltodiario.com/coronavirus/entrevista-naomi-klein-gente-habla-volver-normalidad-crisis-doctrina-shock>

(3) Le Monde, Paris, 8.April 2020

بل أيضًا اسعار النحاس والنيكل والقطن والكافور وزيت النخيل، Palmöl، إلخ. وهذا وضع مدمر لاقتصادات البلدان المصدرة في الجنوب، حيث يعيش ثلثا سكان العالم. وبالإضافة الى انهيار الصادرات، يتعين على المرء أن يضيف خسارة دخل القطاع السياحي والانخفاض الحاد في تحويلات المهاجرين المالية، المتأثرين بفقدان فرص العمل في البلدان الغنية التي تعاني من الشلل. وبعبارة أخرى، تنهار الموارد الرئيسية الثلاثة لبلدان الجنوب. وملايين الأشخاص الذين تمكنوا من أن يصبحوا جزءًا من «الطبقة الوسطى» العالمية المتنامية في العقود القليلة الماضية معرضون الآن لخطر السقوط في براثن الفقر ثانية.

وعلاوة على ذلك، وفي هذه البيئة الحرجة، بدأت رؤوس الأموال هجرة جماعية من البلدان النامية. تشير التقديرات، اعتبارًا من 21 شباط 2020، تاريخ أول وفاة في إيطاليا بسبب الوباء، وحتى نهاية آذار، هرب قرابة 59 مليار دولار من هذه الدول⁽¹⁾. ونتيجة لذلك، انهارت العديد من العملات: فقد البيزو المكسيكي 25 في المائة من قيمته مقابل الدولار الأمريكي، والريال البرازيلي، والراند الجنوب أفريقي 20 في المائة. وستكون جميع الواردات الآن أكثر تكلفة في هذه البلدان.

وفي ظل هذه الخلفية القائمة، فمن المرجح، عندما ينتهي الوباء، ستشهد العديد من الدول الضعيفة والمدمرة والمثقلة بالديون اضطرابات اجتماعية شديدة. ويمكن أن تحدث حمات الدم هنا أيضًا. وفي مناطق معينة ستشهد موجة يائسة من الهجرة إلى الشمال، إلى البلدان التي تعاني في هذه اللحظة من العواقب المؤلمة لأسوأ أزمة في تاريخها. وغني عن القول، أن المهاجرين الجدد الذين سيكونون كبش فداء لن يلقوا الترحيب. وسوف تغذى كراهية الأجانب والحقد عند

(1) <https://www.lopinion.fr/edition/international/coronavirus-monnaies-matieres-premieres-pays-en-developpement-pris-215333>

الجماعات اليمينية المتطرفة التي تتصاعد في كل من أوروبا والولايات المتحدة. يعلمنا التاريخ أن الكوارث تشجع الشوفينية والعنصرية.

ولتجنب السيناريوهات التي تشبه الكابوس، تدعو أصوات كثيرة إلى اتخاذ إجراءات عاجلة مختلفة. من بينها إلغاء ديون البلدان النامية، التي كانت المثلثة بديون خارجية هائلة قبل اندلاع الأزمة الحالية. ووفقًا للأمم المتحدة، سيتعين على هذه البلدان، حتى نهاية العام المقبل، دفع حوالي 2.7 مليار دولار كفوائد على ديونها.⁽¹⁾ ويطلب العديد من الشخصيات والمؤسسات بتعليق سداد ديون البلدان الأكثر تضررًا. وحتى البابا فرنسيس طالب «في هذه الظروف، ينبغي تلبية الاحتياجات الكبيرة لهذه اللحظة في جميع البلدان، وإزالة ثقل الديون على موازنات الدول الفقيرة، بتخفيضها أو حتى إلغاؤها»⁽²⁾. في ظل هذه الظروف الحرجة، يُطلب من الولايات المتحدة أيضًا رفع «الإجراءات القسرية أحادية الجانب» غير العادلة ضد كوبا وفنزويلا وإيران ونيكاراغوا وسوريا وغيرها.

(1) El País, Madrid, 11. April 2020.

(2) <https://www.farodiroma.it/francisco-que-el-senor-permita-alcanzar-soluciones-practicas-e-inmediatas-en-venezuela-orientadas-a-fa...>

اجتثاث العولمة؟

يجبرنا الوباء أيضاً على التشكيك في النموذج الاقتصادي التجاري السائد، فعلى مدار أربعين عاماً، عززت عولمة الليبرالية الجديدة التبادل وطوّرت سلاسل التوريد العابرة للحدود الوطنية. لقد أظهرت الأزمة الصحية أن خطوط الإمداد اللوجستية طويلة وهشة للغاية. وفي الحالات الطارئة، لا يستطيع المصدرون الاستجابة لحالات الطوارئ عن بُعد. وأظهر كل هذا أن سيادة الدولة، في كثير من الحالات، نسبية للغاية.

بواسطة تطرف الليبرالية الجديدة الأيديولوجي، بلا شك، ذهب العالم بعيداً في نقل الإنتاج، وإزالة التصنيع، وعقيدة «المخزون الصفري». الآن، وفي وضع بين الحياة والموت، اندهش العديد من المجتمعات لأنها اكتشفت أننا نعتمد على المصنعين في الضفة الأخرى للحصول على بعض السلع الأساسية - المضادات الحيوية، والفحوصات، والأقنعة، والقفازات، وأجهزة التنفس، وما إلى ذلك، وان ما ينتج منها في بلداننا قليل جداً. لقد تركت «حرب الأقنعة» شعوراً مؤلماً جداً بالعجز.

ومنذ الأزمة المالية لعام 2008، أعربت الجماعات القومية واليمينية الشعبوية - بما في ذلك ناخبو دونالد ترامب وبوريس جونسون وفكتور أوربان وجايير بولسونارو - عن معارضتها للعولمة الاقتصادية. ومن ناحية أخرى، ومنذ نهاية التسعينيات، ومن منظور يساري وإنساني، انتقد النشطاء بشدة العولمة المالية المدمرة للبيئة ودعوا إلى «عالم آخر ممكن».

وبالإضافة إلى هذه القوى الهائلة، سيكون الآن هناك جماهير غير راضية عن عدم استقلالية بلدانها في التعامل مع كارثة الوباء. وهناك شعور بأن العولمة قد أدت إلى تخلي العديد من الحكومات عن جوانب الأساسية في سيادتها واستقلالها وأمنها.

بعد الوباء ستكون الضغوط المناهضة للعولمة قوية جداً. وفي العديد من العواصم، ستتم مراجعة مبدأ الاقتصاد القائم على الاستيراد. وليس هناك شك في أنه سيتم إعادة توطين مختلف القطاعات الصناعية. وتعود فكرة التخطيط مرة أخرى. ولم يعد اللجوء إلى التدابير الحمائية فضيحة. لقد اعترف الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، وهو مصري سابق، أن «عالمنا سيصبح بلا شك مجزءاً»، لكن من الضروري «استعادة الاستقلال الفرنسي في الزراعة والصحة والصناعة والتكنولوجيا. وسيتعين علينا وضع استراتيجية بعيدة المدى قائمة على القدرة على التنبؤ».⁽¹⁾

وبدلاً من توحيد الشعوب وتعزيز التفاهم المتبادل بينها، فضلت العولمة الأنانية والانقسامات والقومية المتطرفة. يعزز إغلاق الحدود العام والتقوقح الوطني باسم الحماية من الوباء الميلول الأحادية والقومية التي رعاها دونالد ترامب من البيت الأبيض ودعمتها لأسباب مختلفة عواصم أخرى مثل لندن وبودابست وبرازيليا ومانيللا.. إلخ. ومنذ الإصلاحات التي بدأها دنغ هسياو بينغ في عام 1979، كانت القوة التي استفادت أكثر من العولمة الاقتصادية، بلا شك، هي الصين. بعد أن أصبحت «مصنَعاً عالمياً». لقد أصبحت هذه الدولة اليوم القوة العظمى الوحيدة القادرة على معادلة الكفة مع الولايات المتحدة، على المسرح العالمي. إلى جانب الاتحاد الأوروبي واليابان

(1) Le Monde, Paris, 13. April 2020.

وكوريا الجنوبية، تظل بكين واحدة من أكبر مؤيدي العولمة. خاصة منذ انضمامها إلى منظمة التجارة العالمية عام 2001.

تفترض الحكومة الصينية أن مناهضة العولمة ليس الحل وأن الحمائية هي طريق مسدود لأنه في النهاية لا يمكن لأحد التصدير والجميع محاصرون. وعبر الرئيس الصيني شي جين بينغ عن ذلك بهذه الكلمات: «إن تقسيم محيطات الاقتصاد العالمي إلى سلسلة من البحيرات الصغيرة المنفصلة جدًّا ليس مستحيلًا فحسب، بل يتعارض أيضًا مع مسار التاريخ».⁽¹⁾

على أية حال، يبدو أن صعود عولمة الليبرالية الجديدة قد تضررت بشدة، وليس غريبًا التنبؤ بضعفها⁽²⁾. وحتى استمرار الرأسمالية في شكلها الليبرالي المتطرف موضع تساؤل. وتطرح ضرورة وضع نوع من خطة مارشال عالمية هائلة. وليس هناك شك في أن مأساة كورونا الحالية ستدفع الأمم نحو نظام اقتصادي عالمي جديد.

(1) <http://www.amb-chine.fr/fra/zfzj/t1693080.htm>

(2) Siehe Marcelo Colussi, «Coronavirus, ¿fin de la globalización neoliberal ? », Rebelión, Madrid, 8.Februar 2020 und John Gray, « Adios globalización, empieza un mundo nuevo. O por qué esta crisis es un punto de inflexión en la historia », El País, Madrid, 12.April 2020.

الأدوار القيادية

لقد فشلت معظم الحكومات. واهتزت كما لم يحدث في أوقات السلم، ولم تتمكن من مواجهة التحدي الهائل. ولم تمارس أهم سلطاتها الدستورية: مسؤولية حماية شعبها. وهناك أمثلة عديدة لزعماء مثل بوريس جونسون، رئيس وزراء المملكة المتحدة، الذين قبل أن يصابوا بالعدوى ويدخلوا في العناية المركزة، قللوا من شأن التهديد. اختار جونسون في البداية نظرية «مناعة القطيع» حتى يصاب سكان المملكة المتحدة بالعدوى. انطلاقاً من فكرة إذا أصيب 60 أو 70 في المائة من السكان، فسيكون هناك جدار وقاية يوقف انتشار الفيروس. حتى أدرك أنه في حالة وفاة 3 في المائة من السكان «فقط»، يعني ذلك بالنسبة لبريطانيا وفاة قرابة 2 مليون إنسان. ويواصل القادة الآخرون، مثل الرئيس البرازيلي جاير بولسونارو، التمسك بموقف إنكار كورونا، مبتسماً وواصفاً الوباء القاتل بـ «إنفلونزا صغيرة تافهة». ربما، عندما يتم هزيمة الفيروس، سيحاسب بعض المسؤولين أمام محكمة مماثلة لمحاكم نورنبيرغ (في إشارة إلى محاكمة رموز النازية بعد الحرب العالمية الثانية - المترجم)

لقد ركز العديد من الزعامات على الاستجابات المحلية والوطنية وأداروا الوباء بأنفسهم وبدون تنسيق دولي حقيقي. في حين كان واضحاً عدم وجود بلد، مهما كانت قوته، يمكنه هزيمة الوباء بجهود محلي بحت. لقد أثبتت القوى العظمى عدم قدرتها على التنسيق على المستوى العالمي (يا لها من كارثة بالنسبة لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة!) لتشكيل جبهة عالمية مشتركة والعمل معاً لإيجاد حلول

وطرق جماعية للخروج من الأزمة. لا يوجد صوت - ولا حتى الأمين العام للأمم المتحدة أو الحائز على جائزة نوبل دالاي لاما أو حتى البابا كان قادرًا على إسماع صوته وسط ضجيج الخوف والغضب العام من هذه الصدمة الهائلة.

صحيح أن القادة التاريخيين الكبار عادة ما يبرزون في أوقات الشدة، لكن هذه اللحظة الوبائية، على العكس من ذلك تمامًا، حيث التوتر والارتباك وفقدان السيطرة، تتميز بغياب قادة على رأس القوى الغربية الكبرى. لقد وضعت الفوضى، مهارات بعضهم على المحك⁽¹⁾. وكما أكدنا، حصل دونالد ترامب، على لقب «أسوأ رئيس أمريكي في كل العصور»⁽²⁾ بسبب إدارته السيئة. بالنسبة له وللعض الآخر، أثر فايروس كورونا على شاكلة مبدأ بيتر (المبدأ القائم على فكرة أن «كل موظف في الهرم الوظيفي تتم ترقيته حتى يصل إلى مستوى تنعدم فيه الكفاءة عنده». - المترجم)، فقد خلع أقتعتهم، وكشف خداعهم وعجزهم الشديد⁽³⁾. لكن في هذا السيناريو المتفجر، أظهر بالمقابل قادة آخرين يتمتعون برؤية بعيدة المدى وتنبؤًا لمسار الأحداث وتصميمًا على التحرك بسرعة. اثنتان منهم نساء، كلاهن تقدميان: رئيسة الوزراء الأيسلندية كاترين جاكوبسدوتير، وهي ناشطة نسوية وناشطة بيئية من حزب الخضر، ورئيسة وزراء نيوزيلندا، زعيمة حزب العمال، جاسيندا أورديرن. اتبعت أيسلندا استراتيجية فريدة من نوعها في العالم من خلال اجراء فحص مجاني للفيروس لجميع السكان، بعد اكتشاف حالة الفايروس. في شباط الفائت، وكان يجري فحص جميع السواح والمسافرين

(1) Was Lateinamerika angeht, können wir u.a. Jair Bolsonaro (Brasilien), Lenín Moreno (Ecuador), Iván Duque (Kolumbien), Sebastián Piñera (Chile) nennen

(2) Max Boot, «The worst President. Ever», The Washington Post, 9. April 2020.

(3) Abel Prieto, El rey desnudo, Granma, Havanna, 10. April 2020.

العائدين إلى الوطن ولأسابيع بحثًا عن عوامل العدوى. وطلبت كاترين جاكوبسدوتير وحكومتها من أولئك الذين دخلوا أيسلندا فحصهم في المراكز الصحية حتى لو لم تظهر عليهم أعراض المرض. لقد كان هذا النهج الاستباقي، في التشخيص قبل الحدوث، بالغ الأهمية.⁽¹⁾ في نيوزيلندا أيضًا، اتخذت جاسينتا أرديرن قرارات أكثر صرامة في وقت مبكر جدًا مقارنة بالدول المتقدمة الأخرى، مثل فرض قيود صارمة على الخروج لجميع السكان لمدة شهر وإغلاق كامل للحدود. وكان الهدف السعي إلى «القضاء» على المرض بدلاً من «التخفيف» الذي استخدم في العديد من البلدان الأخرى. كانت الفكرة هي تدمير المنحنى، وليس فقط تسويته.⁽²⁾ ويعتقد العديد من الخبراء أن أيسلندا ونيوزيلندا، إلى جانب كوريا الجنوبية، هي الدول التي تعاملت بشكل أفضل مع الوباء. لكن يجب إضافة فنزويلا أيضًا. على الرغم من أن وسائل الإعلام المهيمنة عالمياً ترفض الاعتراف بذلك، إلا أن الرئيس نيكولاس مادورو كان الشخصية القيادية في أمريكا الجنوبية وكان الأسرع في فهم كيفية اتخاذ إجراء صارم ضد الفيروس.⁽³⁾

وبفضل الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الفنزويلية (قيود على الحركة، إغلاق الحدود، الاستفسار من باب إلى باب، إصدار هوية طبية لجميع الذين ثبتت إصابتهم بالفيروس)، على الرغم من الحصار الاقتصادي والمالي والتجاري غير القانوني والتهديدات العسكرية⁽⁴⁾

(1) BBC News Mundo, London, 10. April 2020.

(2) BBC News Mundo, London, 9. April 2020.

(3) <https://www.telesurtv.net/news/venezuela-coronavirus-balance-segundo-dia-cuarentena-202003170026-.html>

(4) Siehe «Estados Unidos despliega buques frente a Venezuela», Deutsche Welle, Berlín, 2. April 2020.

التي فرضتها الولايات المتحدة الأمريكية⁽¹⁾، استطاعت فنزويلا تجنب الأخطاء التي وقعت في إيطاليا، إسبانيا، أو الولايات المتحدة وأنقذت مئات الأرواح. لقد أثبتت «طريقة فنزويلا» أنها واحدة من أكثر الطرق فعالية في العالم. وقد أقرت منظمة الصحة العالمية بأن عدد المصابين في فنزويلا الأقل في أمريكا اللاتينية، مقارنة بالبرازيل، شيلي، إكوادور، بير، المكسيك، بنما، جمهورية الدومينيكان، كولومبيا، الأرجنتين، كوستاريكا، أوروغواي، هندوراس، وبوليفيا.

بقدر تعلق الأمر بالقيادة يدور جدل حول طبيعة القيادة التي تعاملت بشكل أفضل مع الوباء، سواء كانت حكومات ديمقراطية أو «استبدادية»⁽²⁾. ان هذا نقاش خاطئ. في خضم المعركة ضد الفايروس، ومع اندفاع الحشود إلى المستشفيات وانهيار إدارات المقابر، بسبب العديد من الوفيات. يمكن رؤية جميع الحاكمين يوميًا في وسائل الإعلام، وهم يقودون الهجوم ضد العدو القاتل، بغض النظر عن كفاءة قراءتهم لانتشار الفايروس. يشبهون قائد هيئة الأركان العامة في معركة أخيرة. ليست هذه اللحظة، في أي مكان، «لحظة ديمقراطية»، يل ساعة للتصميم والحسم. هل يشير هذا إلى أن حقبة ما بعد الوباء ستشهد بالضرورة انتصار الاستبداد في العالم؟ هذا الأمر ليس مؤكدًا. لقد تصرف العديد من القادة الاستبداديين ببطء وبطريقة خرقاء في مواجهة فايروس كورونا، وبطريقة مخيبة للآمال، إلى حد ما، قاموا بحجب المعلومات أو ممارسة الكذب مثلًا: دونالد ترامب في الولايات المتحدة الأمريكية، فيكتور أوربان في المجر، جاير بولسونارو في البرازيل، رودريغو دوتيرتي في الفلبين، ناريندرا مودي في الهند، وجانين أنيز في بوليفيا.. إلخ

(1) Siehe «Venezuela pionera en combatir el coronavirus en Suramérica», Telesur, Caracas, 22. März 2020.

(2) BBC News Mundo, London, 9. April 2020.

وعلى أية حال، لم يكن ممكنا عالميا احتواء الفيروس الجديد على الفور وحصره في المنطقة التي ظهر فيها. وقد تبين ان الأيام القليلة الأولى من التردد والارتباك كانت حاسمة. ولذلك استطاعت الجراثيم الهروب من منطقة نشأتها وقهر العالم بسرعة غير مسبوقة. لا يمكن حتى لأشد مؤيدي نظريات الانهيار أن يتخيلوا أن البشرية كلها ستعرض لمثل هذه القوة في مثل هذا الوقت القصير. لقد مرت أربعة أشهر فقط منذ (كانون الأول 2019) حيث تم تحديد الحالات الأولى للإصابة بهذا الالتهاب الرئوي المعدي الجديد في ووهان الصينية. وفي مثل هذه الفترة القصيرة من الزمن، تسبب الوباء في أزمة نظام حقيقية ووضع معنى الحضارة الإنسانية في تساؤل.

لقد غيرَ الكابوس الذي نعيشه مجتمعاتنا بالفعل. الصدمات من جميع الأنواع، التي لم يكن من الممكن تصورها حتى قبل أسابيع قليلة، تحدث في العديد من مجالات الحياة الاجتماعية، في العلاقات الشخصية، السياسة، الاقتصاد، النظم الصحية، دور الدولة، التقنيات، الاتصالات، والعلاقات الدولية. لقد أغلقت العشرات من الدول - داخل الاتحاد الأوروبي أيضًا - أو عسكرة حدودها إلى أجل غير مسمى. وفرضت دول ومئات المدن حظر تجول لأول مرة في اوقات السلم. لقد تخلى ملايين من البشر عن حريتهم في التنقل.

والحياة الديمقراطية أصبحت خارج السياق تماما. وتم تأجيل أو تعليق عشرات العمليات الانتخابية. ولا يمكن لأقوى الجيوش أن تفلت من العدوى. ويسحبون المقاتلين⁽¹⁾ والسفن، معترفين بأنهم غير قادرين على خوض هذه الحرب الغريبة ضد عدو غير مرئي⁽²⁾. وألغت كبرى

(1) «Francia retira a sus soldados de Irak por el coronavirus», EFE, 26. März 2020

(2) William Serafino, «Coronavirus y tormenta política en el Pentágono: Las claves de una crisis inédita», Cubadebate, Havanna, 14. April 2020.

شركات الطيران رحلاتها، مما ترك مئات الآلاف من المسافرين عالقين في جميع أنحاء العالم⁽¹⁾. وتم تعليق وتأجيل أهم المسابقات الرياضية - بما في ذلك الألعاب الأولمبية ودوري أبطال أوروبا وسباق فرنسا الدولي للدراجات. ويرتدي نصف البشرية اليوم كماسة وقائية، بينما يرغب النصف الآخر في ارتداء كماسة واحدة، لكن لا يمكنهم الحصول عليها.

كيف سيكون شكل العالم عندما ينتهي الوباء؟ سيحتاج العالم إلى أصوات مؤهلة ذات كاريزما ورمزية لتوضيح المسار الجماعي الجيد لمرحلة جديدة، كما كان عليه الحال بعد الحرب العالمية الثانية. يجب على الأمم المتحدة أن تصلح نفسها وأن تقبل دولاً جديدة كأعضاء دائمين في مجلس الأمن مثل الهند ونيجيريا ومصر والبرازيل والمكسيك التي تعكس واقع عالم اليوم

يخلق فشل القيادة الأمريكية فراغاً خطيراً في السلطة. وتم استئناف لعبة العرش بشكل خطير. وكما رأينا، يظهر الاتحاد الأوروبي بشكل سيئ بسبب افتقاره المخيب للآمال إلى التماسك أثناء الوباء. ومن ناحية أخرى، عززت الصين وروسيا دورهما الدولي من خلال تقديم المساعدة للعديد من البلدان التي هزمتها انهيار أنظمتها الصحية. حتى أنها ساعدت حتى الولايات المتحدة الأمريكية.

نرى صوراً غير عادية: طائرات عسكرية روسية تهبط في إيطاليا، تحمل أطباءً وتوزع الإمدادات الصحية. وتبرعت الصين بالملايين من تقنية الفحوصات الطبية والأقنعة وأجهزة التنفس والبدلات الواقية وجميع أنواع الخدمات اللوجستية الصحية لمئات البلدان. «نحن أمواج من نفس البحر، أوراق من نفس الشجرة، أزهار نفس الحديقة» هذه هي الكلمات الجميلة كتبت على الحاويات التي قدمتها الصين

(1) BBC News Mundo, London, 6. März 2020.

جزء كبير من العالم. لقد نما نفوذ بكين العالمي.

لا تزال جميع دول العالم تواجه، ولأول مرة، في آن واحد هجوم نوع لكائن فضائي غريب سيستمر الوباء. ومن الممكن أن يعود الفيروس بعد تحوره. ربما في الشتاء القادم. وبالنظر إلى ضخامة ما يحدث، فإن التغييرات قادمة. حتى لو لم يعرف أحد طبيعة السيناريوهات المحتملة. إن الشكوك عديدة. لكن من الواضح أن هذه يمكن أن تكون لحظة تغيير عميق.

يجب ان توظف هذه التجربة المؤلمة لإعادة صياغة العقد الاجتماعي وتحقيق المزيد من التضامن المجتمعي وزيادة الاندماج الاجتماعي. هناك الآن العديد من الأصوات في جميع أنحاء العالم التي تطالب بمؤسسات اقتصادية وسياسية تمارس المزيد من إعادة التوزيع وتكون قادة على تبني مطالب الحركة النسوية أكثر من السابق، وتدعو إلى مزيد من الاهتمام بالمستبعدين اجتماعياً، الأقليات التي تعاني من التمييز، الفقراء وكبار السن. يجب أن تستند أي اجابة في مرحلة ما بعد الوباء، كما يقترح إدغار موران (فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي معاصر- المترجم)، «على مبادئ اقتصاد متجدد حقاً قائم على الحماية والإصلاح».

ويجب أن يشمل مفهوم «الأمن القومي» من الآن فصاعداً إعادة توزيع الثروة، وفرض ضرائب أكثر عدلاً لتقليل التفاوتات الفاحشة جداً، وتعزيز دولة الرفاهية. وهناك رغبة في التحرك نحو شكل من أشكال الاشتراكية. على المستوى العالمي، هناك حاجة ملحة لخلق دخل أساسي يحمي جميع المواطنين في أوقات الأزمات وفي الأوقات العادية. وأن تكون النظم الصحية ملكية عامة ويمكن الوصول إليها بشكل عام. لقد أدت إدارة المستشفيات وكانها شركات إلى معاملة المرضى

كبضائع. النتيجة: كارثة بشرية وصحية. على أية حال، هناك اتفاق بالإجماع على أن اللقاح المضاد للوباء، إذا اكتشف، يجب اعتباره «منفعة عالمية عامة» وأن يكون مجانيًا ومتاحًا للبشرية جمعاء. لقد أظهر الفايروس إن الأطباء والممرضات والعاملين في مجال الصحة هم أكثر أهمية وقيمة من السماسرة والمضاربين الماليين.

سيكون من الحكمة توقع أزمة المناخ التالية أيضًا، والتي يمكن أن تفاجئنا قريبًا مثل وباء كورونا. لا إلى مزيد من الاستهلاك المسعور ولا لمزيد من فكرة النمو اللامتناهي. لم يعد بإمكان كوكبنا الصمود. إنه يحتضر. إنه يتلاشى بين أذرعنا. وهناك حاجة ملحة لتسريع الانتقال إلى الطاقة النظيفة والإسراع في تنفيذ ما كان دعاة حماية البيئة يطالبون به منذ فترة طويلة، وهو الصفقة الخضراء الجديدة، واتفاقية خضراء طموحة تمثل بديلاً اقتصاديًا عالميًا جديدًا للرأسمالية المفترسة.

و ما يجب تجنبه على الفور، كما تحذر نعومي كلاين، هو أن المدافعين عن النظام، الحكومات الليبرالية المتطرفة، وصناديق المضاربة، والشركات العابرة للقومية، والشركات الرقمية العملاقة، وتحت تأثير «الصدمة الرأسمالية» يعززون هيمنتهم ويتلاعبون بالأزمة لمزيد من عدم المساواة، استغلال أكثر، ولخلق المزيد من الظلم. ويجب أن نمنع توظيف الوباء لترسيخ انحدار عالمي كبير يضيق مساحات الديمقراطية، ويدمر نظامنا البيئي أكثر، ويحد من حقوق الإنسان، ويستعمر الجنوب مرة أخرى، ويقلل من خطر العنصرية ويطرد المهاجرين ويجعل المراقبة الإلكترونية الهائلة أمرًا طبيعيًا.

مجتمعات بأكملها محجوزة حاليًا في منازلها. مطيعة، خائفة، مسيطر عليها، صامتة. ماذا سيحدث عند إزالة هذا الحجز؟ ما الذي كان يفكر فيه الناس خلال «العزلة الاجتماعية» غير المسبوق؟ كم عدد التهم

التي سيراكمونها ضد بعض الحكام؟ وليس من المستبعد أن نشهد هنا أو هناك نوعاً من الهجوم الذي لا يمكن كبحه لمواطنين ساخطين للغاية ضد مراكز السلطة المختلفة المتهمه بسوء التعامل مع الوباء.

يشعر بعض القادة بغضب الشعب المتنامي. وبعد سنوات عديدة من تبني نموذج الليبرالية الجديدة والدفاع عنه، أصبحوا مدركين للعيوب الأساسية فيه⁽¹⁾، في قطاعات السياسة الاجتماعية والاقتصادية وكذلك السياسة العلمية الإدارية. والآن يعد هؤلاء السياسيون مواطنيهم أنه بمجرد هزيمة الوباء، سيتغير كل شيء لبناء نوع من «المجتمع العادل». انهم يقترحون نموذجاً جديداً هو بالتأكيد أكثر عدلاً، وأكثر إيكولوجية، وأكثر استيعاباً لحقوق النساء، وأكثر ديمقراطية، وأكثر اجتماعية، وأقل انعداماً للمساواة. وبالتأكيد يفكرون فيه، تحت ضغط الوضع الراهن.

ومن غير المحتمل أن يتمسكوا بهذه النوايا بمجرد التغلب على الوباء، والا ستكون هذه ثورة حقيقية. والفايروس، مهما كان مزعجاً، ليس بديلاً عن الثورة. لا يمكننا أن نكون ساذجين. تبقى النضالات الاجتماعية حتمية. كما يقول المؤرخ البريطاني نيل أشرسون: «بعد الوباء، لن ينشأ العالم الجديد عن طريق السحر. سيتعين علينا النضال من أجله»⁽²⁾، «لأنه عندما تهدأ الصدمة، فإن السلطات الحاكمة، مهما تمايلت بفعل الضغط، ستفعل كل ما هو ممكن لاستعادة السيطرة»⁽³⁾ حتى بواسطة المزيد من العنف. سيحاولون

(1) Atilio Borón, «La pandemia y el fin de la era neoliberal», Clacso, 3. April 2020.

(2) Neal Ascherson, «After the crisis, a new world won't emerge as if by magic. We will have to fight for it», The Guardian, London, 19. April 2020.

(3) Serge Halimi, «¡Ahora mismo!», Le Monde diplomatique en español, Valencia (Spanien), abril 2020.

إعادتنا إلى „الوضع الطبيعي“ القديم. وهذا يعني، في حالة من عدم المساواة الدائمة.

نستذكر ونفكر فيما حدث اثناء انتشار „أنفلونزا كانساس“ (التي أطلق عليها خطأ „الإنفلونزا الإسبانية“)، والتي انتشرت في جميع انحاء العالم في الفترة كانون الثاني 1918 وكانون الأول 1920. قبل انتشار الوباء الحالي، من يتذكرها، باستثناء عدد قليل من المؤرخين؟ لقد نسينا جميعًا، حتى لو أصيب قرابة 500 مليون شخص، يمثلون حينها ثلث البشرية، ومات أكثر من 50 مليون مصاب.

وماذا حدث بعد ذلك؟ هل قامت أوروبا والولايات المتحدة ببناء „مجتمع عادل“؟ الجواب لا. اختفت الوعود. تم نسيان غالبية الناجين من الإنفلونزا القاتلة. غطى حجاب فقدان الذاكرة المؤقتة القدرة على التذكر. وفيما يسمى بالعشرينيات الصاخبة، فضل الناس الانغماس في الحياة بشهية جامحة. لقد كان عصر موسيقى الجاز والتانغو وانتصار هوليوود والثقافة الجماهيرية. نشوة مصطنعة ومغتربة، والتي ستؤدي في النهاية، وبعد عشر سنوات، الى انهيار سوق الأسهم والكساد العظيم في عام 1929.

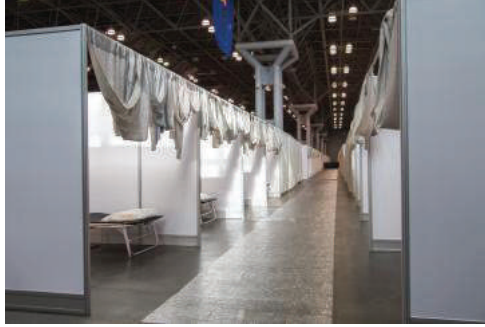
وفي تلك اللحظة بالضبط جاءت إلى السلطة عقيدة جديدة في إيطاليا. كان ينبغي لها ان تكون ناجحة جدا. اسمها: الفاشية، فهل يعيد التاريخ نفسه؟

اغناسيو رامونيت

هافانا، كوبا، 22 أبريل 2020



اغناسيو رامونيت



كان يمكن تجاوز الكارثة - ردهات مؤقتة في نيويورك



تخصيص مصانع ضخمة في الصين لإنتاج الكمادات



مقبرة جماعية لضحايا الوباء في البرازيل

المحتويات

7.....	إغناسيو رامونيت Ignacio Ramonet
9.....	الجزء الأول
11	حقيقة اجتماعية
17	فايروس كورونا
23	اعلان مسبق عن الوباء
31	تغْيَر المناخ
33	المراقبة الإلكترونية الصحية
39.....	الجزء الثاني
41	الصابون وماكينة الخياطة
47	التضحية بـ «كبار السن»
53	أبطال عصرنا
57	ذروة التضليل
63	في الطريق إلى رأسمالية رقمية؟
67.....	الجزء الثالث
69	الاقتصاد: حمام دم
75	اجتثاث العمولة؟
79	الأدوار القيادية



إغناسيو رامونيت

Ignacio Ramonet

ولد في 5 أيار 1943 في ريدونديلا (غليسيا) في إسبانيا. أكاديمي وكاتب وصحفي إسباني – فرنسي معروف عالميا. في سنوات 1991 – 2008 ترأس تحرير جريدة لوموند ديبلوماتيك الشهيرة الصادرة في باريس. مستشار لدى الأمم المتحدة، والرئيس الفخري للحركة المضادة للعولمة (اتاك)، التي تأسست بعد نشره مقالا افتتاحيا في لوند ديبلوماتيك بعنوان "نزع سلاح الأسواق" في عام 1997. وهو أحد مؤسسي المنتدى الاجتماعي العالمي، والمرصد الإعلامي العالمي، والمدير الحالي لقناة "تيلا سور" الأمريكية اللاتينية ومقرها كراكاس في فنزويلا. وتنتشر العديد من صحف العالم مقالاته وبحوثه بلغات متعددة. ويعد إغناسيو رامونيت أبرز الشخصيات المناصرة للثورة الكوبية. وربطته علاقة صداقة وثيقة بالزعيم الكوبي الراحل فيدل كاسترو، والرئيس الفنزويلي الراحل شافيز



رشيد غويلب

مولد كركوك 1956

ناشط سياسي وكاتب صحفي ومترجم صحفي مهتم بقضايا اليسار وعالما المعاصر ينشر في طريق الشعب، الثقافة الجديدة، وعدد من المجلات والمواقع اليسارية
مشارك في العديد من مؤتمرات احزاب قوى اليسار الالاماني، وكذلك في فعاليات تضامنية مركزية مع نضال الشعب العراقي لانهاء الحرب واسقاط الدكتاتورية
قدم العديد من الندوات بشأن تطورات الوضع في العراق، وخصوصا بعد حرب الخليج الثانية
1991. والحرب الاخيرة في عام 2003 وما بعدها
ساهم في العديد من الحوارات التلفزيونية، والإذاعية منذ اسقاط الدكتاتورية وحتى الان. قدم عدد من الندوات خلال أيام الانتفاضة في ساحة التحرير
صدر له كتابان يتضمنان مقالات وترجمات: الاول عن التجارب اليسارية في امريكا اللاتينية، والثاني حول التطورات في اليسار الأوربي